Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 3, Issue 4 (2024) • P: 45 - 25
https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl
ISSN: 2790-7317 (Online) • ISSN: 2790-7309 (Print)

The Value of Pre-Islamic Poetry in Ibn Abd Rabbuh's "*Aleqd*" and his Poetry

Dr. Jamal Ali Ghidan
Department of Arabic Language & Literature | Al-Quds University | Palestine

Received: 11/07/2024
Revised: 25/07/2024
Accepted: 06/08/2024
Published: 30/09/2024

* Corresponding author: jghidan@staff.alquds.edu

Citation: Ghidan, J. A. (2024). The Value of Pre-Islamic Poetry in Ibn Abd Rabbuh's "Aleqd" and his Poetry. *Journal of Arabic Language Sciences and Literature, 3*(4), 25 – 45. https://doi.org/10.26389/AJSRP.L110724

2024 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: This research aims to detail arguments about the value of pre-Islamic poetry of Ibn Abd Rabbo's book "*Aleqd*" and in his own poetry, which comprises an introduction and eleven themes. The researcher has followed the descriptive analytical approach by tracing the topics of such themes in the sources and references, and in "*Aleqd*" and the poetry of Ibn Abd Rabbo himself. Among the questions raised in this research are: What is the extent of Ibn Abd Rabbo's interest in pre-Islamic poetry in "*Aleqd*" and poetry? In his "*Aleqd*" and poetry, the research concluded that Ibn Abd Rabbo draws on the pre-Islamic poetry, which has been the basis for Arabic poetry throughout the ages, in terms of its structures, methods, and most meanings indicated. The researcher recommends identifying the ways in which Ibn Abd Rabbo contradicted pre-Islamic poetry, and studying the methods adopted by Ibn Abd Rabbo in his opposition to pre-Islamic poetry in Ibn Shahid's poetry and letters. He also recommends studying the prosodic rhymes or couplets created by Ibn Abd Rabbo in the Arabic prosody, and pinpointing the extent to which he was influenced by pre-Islamic poetry. Additionally, he also recommends touching upon the ways of Ibn Abd Rabbo in explaining Arabic poetry and correcting its meanings based on the news and poetry of the pre-Islamic era as well as assessing the method adopted by Ibn Bassam Al-Shantarini in his criticism of pre-Islamic poetry. Finally, he recommends studying Ibn Abd Rabbo's criteria followed when criticizing the pre-Islamic poetry and his views on citation and being influenced by his predecessors in terms of poetry and prose.

Keywords: The value of pre-Islamic poetry, Ibn Abd Rabbuh's "*Aleqd*, Ibn Abd Rabbuh's poetry, Rooting of meanings, criticism, Influenced by pre-Islamic poetry.

قِيمَةُ الشِّعْرِ الْجَاهِلِيّ فِي عِقْدِ ابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ وَشِعْرِهِ

الدكتور/ جمال علي غيظان
دائرة اللّغة العربيّة وآدابها | جامعة القدس | فلسطين

المستخلص: يهدف هذا البحث إلى تفصيل القول في قيمة الشعر الجاهليّ لدى ابن عبد ربّه في كتابه "العقد" وفي شعر ابن عبد ربّه نفسه، من خلال مدخل وأحد عشر محورًا، واتّبع الباحث المنهج الوصفيّ التحليليّ، من خلال تتبع موضوعات هذه المحاور في المصادر والمراجع، وفي العقد وشعر ابن عبد ربّه نفسه. ومن أهمّ الأسئلة التي يطرحها هذا البحث: ما مدى اهتمام ابن عبد ربّه بالشعر الجاهليّ في عقده وشعره؟ وخلص البحث إلى أنّ ابن عبد ربّه في عقده وشعره يستقي من نبع الشعر الجاهليّ، الذي يعدّ أساسًا للشعر العربيّ على مرّ العصور، في مبانيه وأساليبه وأكثر معانيه. ويوصي الباحث بما يأتي: الوقوف على طرق معارضة ابن عبد ربّه للشعر الجاهليّ. ودراسة طرق ابن عبد ربّه في معارضته الشعر الجاهليّ في شعر ابن شهيد ورسائله. ودراسة المقطوعات العروضيّة التي أنشأها ابن عبد ربّه في عروض الشعر العربيّ وتبيّن مدى تأثره فيها بالشعر الجاهليّ. والوقوف على طرق ابن عبد ربّه في شرح الشعر العربيّ وتصويب معانيه بناء على أخبار الجاهليين وأشعارهم. والوقوف على طريقة ابن بسام الشنتريّ في نقده للشعر الجاهليّ. ودراسة مقاييس ابن عبد ربّه في النقد للشعر الجاهليّ. والوقوف على آرائه في الأخذ والتأثر بالسّابقين في الشعر والنثر.

الكلمات المفتاحيّة: قيمة الشعر الجاهليّ، عقد ابن عبد ربه، شعر ابن عبد ربه، تأصيل المعاني، النقد، التأثر بالشعر الجاهليّ.

مقدّمة

لعلّنا لا نحيدُ عن الصّواب إذا ادّعينا أن قيمة الشّعر المجموع في الاختيارات تعلو بقيمة جامع هذه الاختيارات؛ ولعلّ خير دليل على ذلك القصائدُ المفضليّات والقصائد الأصمعيّات، وكثير من الحماسات، ...، وتعلو قيمة الأشعار المبثوثة في مصادر الأدب وتاريخه، بقيمة مؤلّفيها، مثل مؤلّفات: ابن سلّام، والمبرّد، وابن قتيبة، وابن عبد ربّه، وابن عبد البَرّ، وابن بسّام، وغيرهم. وما يعنينا في هذا البحث هو ابن عبد ربّه وعقده. وما يعنينا أكثر هو الشعر الجاهليّ المبثوث في كتاب العقد وشعر ابن عبد ربّه نفسه، الذي دوّن أكثره في عقده. فتناول البحث قيمة الشّعر الجاهليّ في العقد وفي شعر صاحبه.

أهداف الدّراسة

هدفت هذه الدّراسة إلى الكشف عن قيمة الشعر الجاهليّ لدى ابن عبد ربّه في كتابه "العقد" وفي شعر ابن عبد ربّه نفسه، وإظهار مدى ما وصل إليه ابن عبد ربّه في اهتمامه وعنايته بالشعر الجاهليّ، لكون الشعر الجاهليّ أساس الأدب العربيّ بعامّة، وأساس الشعر العربيّ بخاصّة.

أهميّة الدّراسة

إنّ كتب التواريخ يُنتفع بها في الاطّلاع على الأخبار وحوادث الزّمان، وفي ذلك ترويح للخواطر، وعبر لأولي البصائر، ومن أضبط التواريخ في زمان ابن الأكفانيّ(-749ه) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزريّ، ومن الكتب التي جمعت بين الأخبار ومستحسنات الأشعار، فجاءت حسنة التأليف العقد لابن عبد ربّه. هذه شهادة قيّمة جاءت –وإن متأخرة- من ابن الأكفانيّ في كتابه إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد(ابن الأكفاني، 1990م، 101). وعلى أيّ حال فهذه شهادة لعقد أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربّه (246- 328ه). وشهادات الإعجاب والثناء والتبجيل للعقد وصاحبه كثيرة، بقيت متسلسلة عبر العصور. وما يؤكد أهميّة البحث هو تسليطه الضوء على اهتمام ابن عبد ربه بالشعر الجاهليّ خاصة في عقده وشعره.

مشكلة الدّراسة

يُعدّ كتاب العقد لابن عبد ربّه موسوعة ثقافيّة تضمّ قضايا في التاريخ والأدب والنقد والبلاغة وموسيقا الشعر العربيّ، ...، وتضمّ جلّ شعر ابن عبد ربّه نفسه كذلك، فجاءت هذه الدّراسة لتجيب عن السؤال الآتي: ما مدى اهتمام ابن عبد ربّه بالشعر الجاهليّ في عقده وشعره؟

الدّراسات السّابقة

لم تنفرد أيّ دراسة بقيمة الشعر الجاهليّ في عقد ابن عبد ربّه وشعره، ولكن هذه الدراسة أفادت من بعض الدراسات التي تناولت العقد بشكل عام، من مثل: دراسة جبرائيل جبور، في كتابه"ابن عبد ربه وعقده، من منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، من العام 1979م. ومقال الطاهر مكي: العقد الفريد لابن عبد ربه، في مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة الأولى، العدد الرابع، شباط، 1979م. ودراسة الباحث نفسه: جمال علي حسن: أثرُ الشِّعْرِ الجَاهِلِيّ في الأدَبِ الأندلسيّ مِنَ القرْنِ الرَّابِعِ الهِجْرِيّ إلى منتصفِ السَّادسِ: رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنيّة، إشراف ناصر الدين الأسد، 2007م.

منهج الدّراسة

اتّبع الباحث في هذه الدّراسة المنهج الوصفيّ التحليليّ، من خلال تتبع موضوعات محاور الدّراسة في كتاب العقد وفي شعر ابن عبد ربّه نفسه، وفي المصادر والمراجع الأخرى.

خطة الدّراسة

جاءت هذه الدّراسة في مقدّمة وأحد عشر محورًا، و المحاور هي على النحو الآتي: قيمة ابن عبد ربه، قيمة العقد، اهتمام ابن عبد ربّه بأخبار العرب في العصر الجاهليّ، الاستشهاد بالشعر الجاهليّ، عروض الشعر العربيّ، معارضة الشعر الجاهليّ، شرح الشعر الجاهليّ، نقد الشعر الجاهليّ بالإعجاب به وبأساليبه الفنّيّة والدّفاع عنه، الشعر الجاهليّ أساس التقويم، تأصيل المعاني، تأثر ابن عبد ربّه بالشعر الجاهليّ.

أوّلا: قيمة ابن عبد ربّه

عندما سمع المتنبي (-353ه) مقطوعة لابن عبدربّه، مطلعها:

يا لؤلؤا يسبي العقول أنيقا ورشا بتقطيع القلوب رفيقا

قال - مخاطبًا من أنشد له المقطوعة، في مسجد عمرو بن العاص: "يا ابن عبد ربّه لقد تأتيك العراق حبوًا" (ابن خاقان، 1983م، 273/1، ابن عبد ربه، شعره، 2000م، 225). وابن الفرضيّ(-403ه) يثني على أدب ابن عبد ربّه بقوله: "هو شاعر الأندلس وأديبها"(ابن الفرضيّ، 1988م، 37/1). والثعالبيّ(-429ه) يعدّه " أحد محاسن الأندلس علمًا وفضلا، وأدبًا ونبلا، وشعره في نهاية الجزالة والحلاوة، وعليه رونق البلاغة والطلاوة" (الثعالبيّ ،1983م، 2/ 85). ويقول ابن شرف القيروانيّ(-460ه): "أطلعنا في شعره على علم واسع، ومادة فهم مضيء ناصع؛ ومن تلك الجواهر نظم عقده، وتركه لمن يتجمل به بعده"(ابن شرف القيروانيّ، 1946م، ص 323)، وابن خاقان(-529ه) ينعته بقوله: "الفقيه العالم ... ساد بالعلم ورأس ... وشهر بالأندلس حتى سار إلى المشرق ذكره، واستطار شرر الذكاء فكره، وكانت له عناية بالعلم وثقة ورواية له متسقة، وأما الأدب فهو كان حجّته، وبه غمرت الأفهام لجّته مع صيانة وورع وديانة...، وله التأليف المشهور الذي سماه بـ العقد، وحماه عن عثرات النقد لأنّه أبرزه مثقف القناة مرهف الشباة تقصر عنه ثواقب الألباب، وتبصر السحر منه في كلّ باب وله شعر انتهى منتهاه وتجاوز سماك الإحسان وسهاه"(ابن خاقان، 1983، 1 /270). ووصفه ابن سعيد (-685ه) بأنه إمام أدباء المائة الرّابعة بالأندلس، ومصنّفِها، وإمام شعرائِها(ينظر: ابن سعيد، 2020م، ص 273). وهو من" **علماء الأدب**"(ابن سعيد، 1987م، ص 133). ويصف أبو الفداء ابن كثير(-774ه) صاحبُ البداية والنّهاية صاحبَ كتاب العقد أحمد بن محمد بن عبد ربّه بأنّه "كان من الفضلاء المكثرين، والعلماء بأخبار الأوّلين والمتأخرين، وكتابه العقد يدلّ على فضائل جمّة، وعلوم كثيرة مهمّة"(ابن كثير، **2015م**، 12 /137). والمقّريّ في النفح ينقل عن ابن الخطيب(-776ه) شهادة في الثناء على ابن عبد ربه وعقده لا تقل تبجيلا عن الشهادات السابقة(المقري، 1968م، 217/4) فيكاد جلّ من تناول ابن عبد ربه وعقده يجمعون على وصفهما قدوة للاحقين من الأندلسيّين.

وكان ابن عبد ربه قد طلب العلم على شيوخ عصره الأفذاذ مثل بقي بن مخلد وابن وضّاح والخُشنيّ، وغيرهم، وهم أدخلوا علمًا مشرقيًّا كثيرًا إلى الأندلس في الفقه والتفسير والحديث واللّغة والسير والأخبار والأشعار(عبّاس، عصر سيادة قرطبة،2001م، ص 166-167) بالإضافة إلى ثقافته النحويّة والتاريخيّة والعروضيّة والبلاغيّة ، وهذه الثقافة كانت لها تأثير كبير في أدب ابن عبد ربه ظهرت آثاره في العقد، وبالطبع في شعره(ابن عبد ربه، 2000م ، شعره، مقدمة المحقق جمران، ص 32). "فقد أورثته ثقافته الفقهية نظرة محافظة متشددة تنفر من كلّ جديد وتعادي العلوم الدنيويّة"(عبّاس، عصر سيادة قرطبة،2001م، ص 167).

عاش ابن عبد ربه "في أيام الناصر ثمانية وعشرين عاما لم يتوقف فيها عن الإنتاج حتى آخر عمره ، وهي أكثر فترات حياته غنى بالشعر واهتمامًا به"(عباس، عصر سيادة قرطبة، 2001م، ص173)، "ففيها ألف العقد ونظم أرجوزته المطولة"(ابن عبد ربه،2000م، شعره، مقدمة المحقق جمران، ص39) التي عرض فيها لأحداث اثنتين وعشرين سنة من خلافة الناصر.

ثانيًا: قيمة العقد

شغل العقد مكانة سامية في تاريخ الأدب العربيّ، واكتسب الشهرة الواسعة، فهو يُعدّ مصدرًا من المصادر الأدبيّة المهمّة قديمًا وحديثا، لما ضمّنه صاحبه فيه من جواهر الحكم والأمثال، والخطب والرسائل، ونوادر الأخبار، وعيون الأشعار، فجاء عقدا تُزان به العقول.

ويمثل العقد "في حياتنا الثقافية والأدبية المرتبة التي تلي كتاب الأغاني"(مكي، 1979م، ص 53). ولابن عبد ربه ديوان شعر كبير لم يصلنا منه إلا ما أورده في العقد، وما رواه له الثعالبي في يتيمة الدهر(مكي، 1979م، ص 53).

ويعرض ابن عبد ربه في العقد الثقافة الأدبيّة المشرقيّة، وعلى رأس هذه الثقافة الشعر الجاهليّ، ويسير على نهج كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة، حتى إنّ باحثا يقول في كتاب ابن عبد ربه العقد: " لولا قليل لكان معارضة لكتاب ابن قتيبة عيون الأخبار"(جبور، 1979م، ص 114)، ولم يُعن فيه بالحديث عن أدباء بلده وشعرائه إلا ما كان من تمثله بكثير من أشعاره، وذكره لشاعر الأمير عبد الرحمن الأوسط يحيى الغزال (-255ه)، أما بعد ذلك فالكتاب مشرقيّ خالص بما فيه من شعر ونثر بحيث قال الصاحب بن عباد (-385ه)في الكتاب: "هذه بضاعتنا رُدت إلينا، ظننت أنّ هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم، وإنما هو مشتمل على أخبار بلادنا، لا حاجة لنا فيه، فردّه"(ياقوت الحموي،١٩٩٣م، 464/1، وينظر: ضيف، 1983م ، ص 189).

هذه النظرة من الصاحب ليست دقيقة؛ فالعقد يحوي شعرًا كثيرًا لابن عبد ربه، وشعرًا للغزال ولبعض الأندلسيين كمنذر ابن سعيد، ونظرات وآراء ومواقف لابن عبد ربه ،فضلا عن حسن الاختيار لمنتخباته الشعرية والنثرية . وإن كان العقد رمزا واضحًا لروح مؤلفه المسرفة في المحافظة(ضيف، 1983م، عصر الدول والإمارات ، ص 189) ، وإن عدّ هذا الكتاب " أكبر مظهر لتبعية الأندلس الفكرية للمشرق"(بالنثيا،1955م، ص172). "فالكتاب لا يؤكد تأثرا لأندلسيين بالفكر الأندلسيّ المشرقيّ فحسب، ولكنه يعتبر مظهرًا جليّا لتبعيّة الأندلس للمشرق"(محمد الأمين، 1969م، ص 333). "وكان قصده من وراء تأليف كتابه العقد أن ينقل إلى الأندلسيين أدب المشارقة"(عتيق، 1976م، ص 150). ومن المفيد أن نقول إن ابن عبد ربه كانت من غاياته –أيضا- إثبات قدرة الأندلسيين على مجاراة المشارقة في الموضوعات الشعرية والمعاني والأساليب. وواضحة هي نزعته الأندلسية في عقده وشعره.

ومصادر ابن عبد ربه في العقد كثيرة، في مقدمتها القرآن الكريم والأحاديث الشريفة والسيرة النبوية العطرة ، واستقى من كتب مشرقية كثيرة لعلماء أفاضل كابن قتيبة أبي عبدالله محمد بن مسلم الكوفي الدينوريّ(-276ه) في عيون الأخبار ، والأشربة ، وفضل العرب على العجم، والجاحظ (-255ه) في البيان والتبيين ، والمبرد (-285ه) تلميذ الجاحظ ، في الكامل ، وابن المقفع(-139ه) في الأدب الصغير وكليلة ودمنة، والدرّة اليتيمة، ويأخذ عن سيبويه (-177ه)، ويخطئه أحيانا، ما يدلّ على سعة اطلاع ابن عبد ربه ومعرفته بكثير من أشعار العرب القدامى، وينقل عن طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي (-231ه)، كما استقى من كتب أبي عبيدة معمر ابن المثنى(-207ه أو213)، فنقل عن كتابه " التاج " وعن " أيام العرب" وأفاد مما حكاه أبو عبيدة في النقائض، وأخذ عن ابن هشام، وعن الطبريّ من كتابه " تاريخ الأمم والملوك " وغيرهم ، وأفاد من روايات المفضل بن محمد الضبيّ، والأصمعيّ والشيبانيّ والعتبيّ والمرزبانيّ وابن الكلبيّ وحمّاد والغزاليّ وأبي غسان تلميذ أبي عبيدة والرّياشيّ ووهب بن منبّه والمدائنيّ، وغيرهم. ومن مصادره الدواوين الشعريّة، فهو يدوّن لأكثر من مئتي شاعر، فلا بد أنه كان مطلعا على كثير من دواوينهم. ومن مصادره المباشرة شيوخه كالخشنيّ(-286ه) الذي رحل إلى المشرق ولقي السجستانيّ والرياشيّ والزياديّ وأخذ عنهم كثيرًا من المؤلفات رواية عن الأصمعي وغيره وأدخل الأندلس شعرًا جاهليًّا كثيرًا، وبقيّ بن مخلد(-276ه)(ينظر: جبور، 1979م، ص57 ، 60-66، 69 -70، و ابن عبد ربه، **العقد**1999م، مقدمة المحقق، ص 37 -39، وابن عبد ربه، 2000م، شعره، مقدمة المحقق، ص 24، ومكي، 1979م، ص 55). فابن عبد ربه إن فاتته الرحلة إلى المشرق فلم تفته رحلة الاطلاع والفهم لتراث المشارقة ومؤلفاتهم.

وكان ابن عبد ربه يشير أحيانًا إلى هذه المصادر وفي الأغلب دون إشارة، فتراه يرجع كثيرًا إلى عيون الأخبار، وسلخ منه قطعا كثيرة دون أن يشير إلى مصدرها، ونقل عنه الكثير، فنظرة إلى عيون الأخبار والكتب التي ضمّها، ثم مقابلتها بالكتب التي ضمها العقد تكفي لإظهار النقل، فقد استهلّ صاحب العقد كتابه بكتاب السلطان وجعله اللؤلؤة الأولى، كما استهلّ ابن قتيبة عيون الأخبار بكتاب السلطان، والكتاب الثاني عند ابن عبد ربه هو كتاب الفريدة في الحروب والكتاب الثاني في عيون الأخبار هو الحرب، ويمكن نقل أيّ قطعة من كتاب السلطان في عيون الأخبار وإدخالها في كتاب اللؤلؤة في السلطان من العقد دون أن يحدث تغيير في أسلوب الكتاب يستطيع القارئ أن يتبيّنه، فالأسلوب واحد ووالنمط واحد والأخبار، لولا قليل، واحدة. والعقد وعيون الأخبار يشتركان في سبعة أبواب هي: السلطان، والحروب، والعلم والأدب، والمواعظ والزهد، والطبائع، والطعام، والنساء، كما أن عددا آخر من أبواب العقد نجده مفرّقا في تضاعيف بعض أبواب عيون الأخبار. فكتاب الأجوبة وكتاب الخطب من العقد كلاهما من موضوعات كتاب العلم في عيون الأخبار وكتاب مخاطبة الملوك من العقد فرع من فروع كتاب السلطان في عيون الأخبار حتى إذا قرأت العقد ودرسته، ثم قرأت عيون الأخبار لأول مرة تشعر كأنك تعرف هذا الكتاب(يراجع: جبور، 1979م ، ص 57-59، والعيس، 2000م، ص 76). "وكان ابن قتيبة جليلًا نبيلًا، وكان أهل العلم يتهمون من لم يكن في منزله من تصنيف ابن قتيبة شيء"(ابن كثير، 2015م، 315/11).

وبعبارة أخرى نقل ابن عبد ربه كثيرًا من الأخبار والأشعار التي أوردها ابن قتيبة في عيون الأخبار، ثم زاد على ذلك كثيرًا من الأخبار والأشعار والأبواب.

وعلى أيّ حال فإنّ الشعر الجاهليّ في هذه المصادر يحتلّ المكانة الكبيرة، ومن الطبيعيّ أن يلقى الترحيب والإعجاب ومن ثم التأثير في أدب ابن عبد ربه وغيره.

أما منهجه وغايته من تأليف عقده فقد أبان ابن عبد ربه عن منهجه في تأليف الكتاب بقوله :

"ألّفت هذا الكتاب وتخيّرت نوادر جواهره من متخير جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان، وسميته بالعقد لما فيه من مختلف جواهر الكلام، مع دقة السلك وحسن النظام وجزأته على خمسة وعشرين كتابا، كل كتاب منها جزءان، فتلك خمسون جزءا قد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد، فأولها كتاب اللؤلؤة في السلطان"(ابن عبد ربه، 1999م العقد، 1/7-11، وينظر جبور، 1979م، ص 54، وبالنثيا، 1955م، ص 169-172).

وليس لابن عبد ربه فيه سوى " تأليف الاختيار وحسن الاختصار وفرش لدور كل كتاب وما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء ومأثور عن الحكماء والأدباء. واختيار الكلام أصعب من تأليفه ... فتطلبت نظائر الكلام ، وأشكال المعاني، وجواهر الحكم ، وضروب الأدب ، ونوادر الأمثال ... وقصدت من جملة الأخبار ، وفنون الآثار إلى أشرفها جوهرا وأظهرها رونقا وألطفها معنى وأجزلها لفظا وأحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وحلاوة"(ابن عبد ربه، العقد 1999م، 7/1).

ولما كانت الغاية أدبية بالدرجة الأولى فقد حذف أسانيد أكثر الأخبار والمرويات " طلبا للاستخفاف والإيجاز ، وهربًا من التثقيل والتطويل ، لأنها أخبار ممتعة وحكم ونوادر ، لا ينفعها الإسناد باتصاله، ولا يضرها ما حُذف منها"(ابن عبد ربه، العقد 1999م، 8/1).

ومع أنّه يحذف الأسانيد إلا أنه يحتفظ بأسماء أصحاب الروايات الأول في كثير من المرويّات، كقوله: "وقال حماد عجرد (-161ه)..."، " الأصمعي قال ..."، "وعن الأصمعي قال ..."، " قال أبو عمرو بن العلاء ..."، "أبو عمرو يقول ..."، "قال أبو عبيدة ..."، قال أبو عبيدة : أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال: كان يوم الكلاب ..."، "ابن الأعرابي قال ..."، " أبو حاتم عن أبي عبيدة قال :خرج دريد بن الصمة..."، قال أبو حاتم ..."، " قال أبو بكر محمد بن دريد (-321ه) ..."، " الشيباني قال ..."(ابن عبد ربه، العقد 1999م، الاقتباسات

في العقد مرتبة بالتسلسل: حماد299/1، الأصمعيّ347/1، 352/5، 114/2، أبوعمرو214/5، 445، أبو عبيدة289/2، 123/5، 147، 150، 216، أبو عبيدة عن أبي عمرو197/5، ابن الأعرابيّ206/5، أبو حاتم عن أبي عبيدة154/5، أبو حاتم312/5، أبو بكر294/1، الشيبانيّ307/2).

وأراد ابن عبد ربه من مؤلفه أن يكون جامعًا لفنون الأخبار والمعاني، يقول: "وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة، فوجدتها غير متفرقة في فنون الأخبار، ولا جامعة لجمل الآثار، فجعلت هذا الكتاب كافيًا جامعًا لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة وتدور على ألسنة الملوك والسوقة "(ابن عبد ربه، العقد، 1999م، 9/1).

فكأن المؤلف أراد وضع دائرة معارف صغيرة يلمّ من كلّ علم بطرف، على النحو الذي ازدهرت عليه المؤلفات في المشرق على يد الجاحظ والمبرد وابن قتيبة(مكي، 1979، ص55).

ومما يزيد من قيمة العقد أنه يُعدّ مصدرًا مهمًّا في تاريخ العرب السياسيّ والاجتماعيّ والأدبيّ، فهو يذكر بعض روايات القدامى كالأصمعيّ وأبي عبيدة وغيرهم ممن لم يترك الدّهر شيئًا كثيرًا مجموعًا من آثارهم ، كما يذكر أخبارًا عن أيام العرب الأولى وأخبارهم ومعتقداتهم وعاداتهم(ينظر: جبور، 1979م، ص 71-75).

وفي كتاب الحروب –مثلا- حديث طويل عن فرسان العرب في جاهليّتها وإسلامها ، انفرد بأخبار ليست فيما وصلنا من المصادر الأخرى(مكي، 1979م، ص 56).

ثالثًا: الاهتمام بأخبار العرب في العصر الجاهليّ

ومن مظاهر اهتمام ابن عبد ربه في عقده بالعصر الجاهليّ إلقاؤه الضوء على أنساب العرب وأخبارهم وأمثالهم وأشعارهم وعروض الشعر ونقده، ففي كتاب " اليتيمة في النسب وفضائل العرب" ذكر فيه ابن عبد ربه نسب القبائل العربية، وأورد بابًا في فضلها أتى على أقوال كثير من الناس من عرب وموال، وقد أجمعوا على الشهادة بفضل العرب ومآثرهم التي تستدعي الفخر والاعتزاز بالعروبة(ابن عبد ربه، العقد، 1999م، 307/3 -، وينظر: جبور، 1979م، ص104). ونجد هذا الاعتزاز بالأنساب باديًا في مدائح ابن عبد ربه نفسه، ولدى الشعراء الآخرين-كذلك- مشارقة وأندلسيين، ويفيد منها في القيم والمثل وضرب الأمثال، عدا الاستشهاد بشعر الشعراء الجاهليين الذي سيأتي الحديث عنه في المحور التالي. فيتناول-مثلا- من بطون أسد وجماهيرها أَسَد بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر، منهم دودَان الذي يقول فيه امرؤ القَيس:

قولا لدُودَان عَبِيدِ العَصَا ما غَرّكم بالأسد الباسل

ومنهم: كاهل بن عَمْرو بنِ صَعْب، وحُلْمة. فأمّا بنو حُلْمة فأَفناهم امرؤ القيس ابن حُجْر بأبيه، ومنهم: غنْم بن دُودان وثَعْلبة بن دُودان، ومنهم: قعَيْس بن الحارث بن ثَعْلبة بن دودان بن أَسد، ومنهم: بنو الصَّيْداء بن عَمْرو بن قُعَيْس....ومن بني كاهل بن أسْد: عِلْباء بن الحارث، الذي يقول فيه امرؤ القَيس:(ابن عبد ربه، العقد، 1999م،333/3)

وأَفْلَتهنّ عِلْبَاءٌ جَريضا ولو أدْرَكْنَه صَفِر الوطابُ"

"ومن بني ثَعل: عمرو بن المُسبِّح، كان أرمى العرَب، وإيّاه يَعْني امرؤ القَيس بقوله:

رُبَّ رام من بَني ثُعَل مخْرجٌ كَفَيه مِنْ قُتَرَه

وأدركَ النبي عليه الصلاةُ والسلام وهو ابن خمس ومائة سنة فأسْلم. ومن بني ثُعَل أيضًا:

أبو حَنْبل، الذي يُعدّ في الأوفياء، نزَل به امرؤ القَيْس ومَدَحه؛ ومنهم: زَيد الخَيْل"(ابن عبد ربه، العقد، 1999م، 389/3).

وذكر في الدّرّة الثانية أيام العرب ووقائعهم وأخبارها(ابن عبد ربه، العقد، 1999م، 122/5-) وذكر أشعارا في حرب البسوس، وحرب داحس والغبراء(ابن عبد ربه، العقد، 1999م ، 137/5 -)، وذي قار، ويوم الكلاب الثاني(ابن عبد ربه، العقد، 1999م197/5)، وأورد على ذلك كلّه أشعارا كثيرة في رثاء القتلى(ابن عبد ربه، العقد، 1999م ، 5/ 190-).

وتناول في الزمردة الثانية في فضائل الشعر ومَقاطعه ومَخارجه موضوع المعلقات، حيث عمدت العرب "إلى سبع قصائد تَخيَّرتها من الشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب في القبَاطيّ المُدرجة، وعَلّقتها بين أستار الكعبة. فمنه يقال: مذهَّبة امرئ القيس، ومُذَهَّبة زُهير. والمذَهبات سبع، وقد يقال لها المُعَلقات"(ابن عبد ربه، العقد، 1999م، 233/5)، ويذكر ابن عبد ربه أصحابها ومطالعها. ويقال إن ابن عبد ربه هو أول من قال بالمذهبات والمعلقات، وتعليقها على أستار الكعبة(ينظر: ملحس، 1988م، ص 99).

ويأتي ابن عبد ربه على ذكر اختلاف الناس في أشعر الشعراء، والروايات التي كثر دورانها عند المشارقة(ابن عبد ربه، العقد، 1999م، 234/5-)، فقد "قيل للبيد من أشعر الشعراء؟ قال: صاحبُ القُروح -يريد امرأ القيس- قيل له: فبعده مَن؟ قال: ابن العِشْرين- يعني طَرَفة- قيل له: فبعده من؟ قال: أنا ...وقيل للحُطيئة: من أشعَر الناس؟ قال: النابغة إذا رَهب، وزُهير إذا رَغب، وجَرير إذا غَضِب. وقال أبو عمرو بن العلاء: طرفة أشعرُهم واحدةً، يعني قصيدته:"لِخولة أطلالٌ بِبُرقة ثَهْمد"(ابن عبد ربه، العقد، 1999م، 235/5) ، وفي

رواية أخرى "وقالوا: أشعر الناس النابغة إذا رهب، وزُهير إذا غضب، وجَرير إذا رَغب. ... . "(ابن عبد ربه، العقد، 1999م، 286/5) ، ويأتي على فضائل الشعر وعظم قدره عند العرب(ابن عبد ربه، العقد، 1999م، 237/5-).

رابعًا: الاستشهاد بالشّعر الجاهليّ

كان ابن عبد ربّه يكثر في عقده من الاستشهاد بالأشعار-من مختلف العصور-التي تجانس الأخبار في معانيها، مقرنا بها شواهد من شعره هو، يقول: "وحَلَّيْتُ كلّ كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها، وتوافقها في مذاهبها، وقرنت بها غرائب من شعري"(ابن عبد ربه، العقد، 1999م، 9/1)؛ ولهذا تكررت روايته لكثير من الأبيات الشعرية والمقطعات في أبواب مختلفة، ومن الأمثلة على التكرار أبيات الأفوه الأودي:

لا يصلحُ الناسُ فوضى لا سراة لهمْ ولا سراة إذا جهالهم سادوا

والبيتُ لا يُبتنى إلا لـــــه عَمَد ولا عماد إلا لم تُرْس أوتاد

فإن تجمَّع أوتاد وأعمـــــــدة يومًا فقد بلغوا الأمرَ الذي كادوا

يوردها المؤلف في عقده في كتاب اللؤلؤة في السلطان، ويوردها ثانية في " باب في رواة الشعر(ابن عبد ربه، العقد، 1999م، الورود الأوّل: 63/1، والورود الثاني: 270/5).

وربّما جاء بالشعر دليلا وشاهدًا على فكرة يناقشها، أو لأنّ معنى البيت يتناسب مع قصة يسوقها، أو حكمة يرويها، أو موعظة يسردها فيتمثل بالبيت نفسه أو الأبيات نفسها التي ساقها من قبل لأنها تناسب هذا المعنى أو تلك الحكمة أو القصة(ابن عبد ربه، العقد، 1999م، مقدمة المحقق، 35/1). واحتوى العقد على ما لا يقلّ عن عشرة آلاف بيت من الشعر لأكثر من مئتي شاعر من شعراء الجاهلية والإسلام حتى عصر ابن عبد ربه(ابن عبد ربه، العقد، 1999م، مقدمة المحقق، 41/1، جبور، 1979م، ص 296).

فهو يكثر من الاستشهاد على المعاني بالشعر الجاهليّ، فعلى سبيل المثال يستشهد لامرئ القيس في أكثر من أربعين موضعًا من عقده، وللنابغة الذبياني في أكثر من عشرين موضعًا، ولطرفة بن العبد في أكثر من عشرين موضعًا، وللأعشى الكبير في أكثر من خمسة وعشرين موضعًا، ولزهير في أكثر من خمسة وثلاثين موضعًا ...، وهكذا، لشعراء مشهورين ومغمورين، بأبيات ومقطعات وقصائد. فهو يورد –مثلا- لأميّة بن أبي الصلت قصيدة في رثاء قتلى بدر من قريش من ثمانية وعشرين بيتًا، ومنها(ا ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 294/3-296):

ألاَ بَكّيْتِ عَلَى الكِرا م بَني الكِرام أولِي المَمَادحْ

كَبُكا الحَمام على فُرو ع الأيْك في الغُصنِ الجوانح

ويستشهد لوعلة الجَرميّ، وهو فارس كان أول منهزم يوم الكلاب(ابن عبد ربه، العقد، 1999م، 201/5)، ولعبد يغوث ابن ربيعة، الذي أنشد عندما أُسر، ورأته امرأة وسخرت منه، وكان قد أسرته تميم فشدوا لسانه بنسعةٍ، خوفا من أن يهجوهم، إلا في وقت أكله وشربه. فقال: أطلقوا لساني حتى أذمّ أصحابي وأنوح على نفسي واقتلوني قتلة كريمةً بأن تسقوني خمرًا وتقطعوا الأكحلين مني فأنزف حتى أموت، ففعلوا فقال في ذلك قصيدة طويلة، منها(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 200/5- 201، وينظر: 385/3):

أَلاَ لا تلوماني كَفى اللَّوم ما بِيا فما لكما في اللّوْم خيرٌ ولا ليَا

ألم تَعْلما أنّ الملامةَ نَفعها قليل وما لوْمِي أخِي مِن شِمَاليا

فيا راكباً إمَّا عَرضْتَ فبلَغنْ نَداماىَ من نَجْران أن لا تَلاقيا

-أقولُ وقد شَدُّوا لساني بنِسْعة أمَعشَر تَيْم أَطْلِقوا عَن لِسانيا

وتَضْحك مِنّي شَيْخة عَبْشَمِيَّة كأنْ لم تَرَيْ قبلي أَسيراً يَمانيا

واستشهد لودّاك بن سنان المازني(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 178/5)، ولورقاء بن زهير العبسي(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 126/5) ، وليزيد بن حذّاق الذي كان أول من بكى على نفسه وذكر الموت في شعره فقال :" " قال ابن قتَيْبة: بلغني أن أوّل مَنْ بكى على نفسه وذكرَ الموت في شِعْره يزيدُ بن خَذّاق، فقال (قصيدة مطلعها):

هل للفتى من بنات الدّهر من واقِ أم هل له من حِمام المَوت من راقِ(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 240/3-241)، ويستشهد للنساء، ومنهن الخنساء(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 263/3-266، 151/5).

ويكثر من الاستشهاد لمهلهل، وامرئ القيس، وعلقمة بن عبدة، والسموأل، وطرفة، وزهير، وعبيد ابن الأبرص، والحارث بن حلزة، وعنترة، والنابغة الذبياني، والفِنْد الزّمّاني، وربيعة بن نزار، وبنت المنذر بن ماء السماء، وأحيحة بن الجُلاح، والأضبط بن قريع، وأبي الطمحان الأسديّ، ودريد بن الصِمّة، وذي الأصبع العدواني، والأفوه الأوديّ، والأسود بن يعفر، وتأبط شرًا، والسُليك بن السُلَكَة، وأوس بن حَجر، والمتلمّس الضُبَعِيّ، والمسيّب بن علس، والمرقش الأكبر والمركش الأصغر، وبشر بن أبي خازم الأسدي، وعامر بن الطفيل، وحاتم الطائي، والمثقب العبدي، وأبي دؤاد الإياديّ، وعروة، وأميّة ابن أبي الصلت، والأعشى ميمون، وقيس بن الخطيم، وغيرهم.

ولمخضرمين، من مثل: لبيد، وربيعة بن مقروم الضبي، والخنساء، والشماخ، والنمر بن تولب، وحسان بن ثابت، وعباس بن مرداس، والحطيئة، وكعب بن زهير، وأبي خراش الهذلي ، والفرّار السُّلَميّ، وغيرهم، عدا أخبار كثير من هؤلاء الشعراء، بالإضافة إلى أشعار الإسلاميين والأمويين والعباسيين وبعض الأندلسيين ومن ضمنهم المؤلف نفسه.

فابن عبد ربّه حين يتناول أغراضًا شعرية وموضوعات جزئية وأوصافا شتى كثر تناول الشعراء لها في مختلف العصور، مثل: رقة النسيب وحسن التشبيب، والنّحول، وطيب الحديث، والنساء وصفاتهنّ، ...(ينظر ابن عبد ربه، 1999م، العقد، مثلا: 285/5-، 5/6-) - يتصدر الشعر الجاهليّ هذه الموضوعات، كلية وجزئية، فيستشهد كثيرًا بشعر الجاهليين بشطر وبيت ومقطوعات قصيرة وقصائد طويلة، ويستشهد بشعره هو على أكثر المعاني والأغراض؛ ليسهم ابن عبد ربه في ذلك كله في وضع النقاد والأدباء أمام المعالم الموروثة للأدب العربيّ، وعلى رأسها الموروث الشعريّ الجاهليّ.

خامسًا: عروض الشعر العربيّ

تناول ابن عبد ربّه في عقده أعاريض الشعر، وعلل القوافي، وعرض أرجوزة من نظمه في العروض، وأتبعها بأمثلة جاءت في قسمين : القسم الأول على ثلاثة وستين ضربًا من ضروب العروض من شعره ، وجعل المقطعات سلسة يسهل حفظها على ألسنة الرواة. وضمّن في آخر كلّ قطعة منها بيتا قديما من الأبيات التي استشهد بها الخليل في عروضه، وقيد ابن عبد ربه نفسه في أن ينظم كل مقطوعة على بحر البيت الذي استشهد به الخليل وقافيته، وأن تكون القطعة متضمنة للبيت ومتصلة به وداخلة في معناه، وعدد الأبيات في كلّ مقطوعة خمسة فقط آخرها البيت المضمن(ينظر: ابن عبد ربه، 1999م، **العقد، 5/377-454، وينظر جبور، ص 181، حسن، 2007م، ص104-**). وضمن أبياتا لشعراء جاهليين من مثل طرفة بن العبد، وزهير بن أبي سلمى، وعنترة، والمرقِّش الأكبر، وأميّة بن أبي الصّلت، وعَدِيّ بن زيد، ودُريد بن الصّمّة(ينظر الشعراء بالترتيب في ابن عبد ربه، 1999م، العقد: طرفة: 392/5 ، 393 ، 396 ، وزهير: 397/5 ، وعنترة : 5/ 401 ، والمرقش الأكبر: 411/5 ، وأمية بن أبي الصلت: 413/5، وعدي بن زيد: 396/5 ،408، ودريد بن الصّمة: 5/ 407) ، وغيرهم . وفي نهاية المقطوعات التي ضمن آخرها أبياتا من الشعر القديم، يفردها ابن عبد ربه خالصة من أي زيادة عليها(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 420/5-434). وفي القسم الثاني مئتا بيت وضع أجزاءه على حروف الهجاء. وعدد الأبيات في كل مقطوعة فيها أربعة فقط، ويمكن أن تكون هذه المقطوعات محاولة لتحدي المشارقة ومعارضتهم(ينظر: جبور، 1979م، 181 – 183، وحسن، 2007م، ص104-).

وبهذا يسهم العقد في تثبيت القواعد الموسيقية للشعر القديم، لتظل راسخة في أذهان الشعراء والنقاد من بعده. وتقيد ابن عبد ربه بعروضه وأوزانه ونقده بما ألفته العرب ؛ يقول في عروض الشعر:

هذا الذي جربه المجرب — من كلّ ما قالت عليه العربُ

فكلّ شيء لم تقل عليه — فإننا لم نلتفت إليه

ولا نقول غير ما قد قالوا — لأنه من قولنا محال

فإنّه لو جاز في الأبيات — خلافها لجاز في اللّغات

وقد أجاز ذلك الخليل — ولا أقول فيه ما يقول

(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 388/5، وابن عبدربّه، 2000م، شعره، ص401). فهو انتقد الخليل ببعض ما جاء به في عروضه لأنه مخالف لما ورد عن العرب(ينظر: جبور، 1979م، ص 200).

سادسًا: معارضة الشّعر الجاهليّ

يظهر ابن عبد ربه مجاراته لشعراء المشرق، ومنهم الشعراء الجاهليين بالطبع، في الموضوعات التي ينظمون فيها قصدًا إلى إظهار المهارة والتفوق، فقد أورد ابن عبد ربه في عقده طائفة من شعره في موضوعات مختلفة نستطيع من خلال دراستنا لها أن نتبين هذا المظهر، فيقول في مقدمة عقده:" وحلّيت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الأخبار في معانيها وتوافقه في مذاهبها، وقرنت بها غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا أن لمغربنا على قاصيته وبلدنا على انقطاعه حظا من المنظوم والمنثور"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 9/1)، وفي كثير من المواضع يذكر ابن عبد ربه معنى من المعاني كاستنجاز المواعيد وصفة الدنيا والرجل النفاع الضرار، يذكر عليها شعرًا جاهليًّا وعباسيًّا وأمويًّا ... دون ترتيب تاريخيّ، ثم ينشد شعرًا منه في هذا المعنى أو ذاك، وقد تسمّى هذه الطريقة معارضة، فيعارضها حتى يثبت جدارته(ينظر: شلبي، 1982م ، ص 410، وجبور، 1979م، ص 98 -). وقد كان ابن عبد ربه قد أولع بتقليد بعض شعراء المشارقة ومعارضتهم في سبيل إثبات التفوق والتقدم(ينظر: الداية، 1981م، ص 89، والداية ، 2000م، ص 310)، فيذكر –مثلا- شعرًا في رقة التشبيب لعدّة شعراء، ويقول :"ومن قولنا في رقة التشبيب والشعر المطبوع الذي ليس بدون ما تقدم ذكره"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 354/5-)، وربما يعارض دون انتقاد : فيذكر أبياتا لأحد الشعراء في وصف البين ثم يعقبها بقوله "ومن قولنا في البين" ، أو يذكر

أبياتا في قول العرب في معنى من المعاني ثم يتبعها بشعره في الموضوع نفسه، وقد ذكر في باب مقاطع الشعر ومخارجه كثيرًا من شعر القدامى في مواضيع متعددة دون أن يهمل إلقاء دلوه وذكر شعره في كلّ هذه المواضيع دون استثناء(ينظر: جبور، 1979م، 99- 113).

والمثال التالي –كذلك-يوضح نزعته في المعارضة وطريقته فيها، فيورد ابن عبد ربه في باب استعارة الشعراء المعاني قول"قيس بن الخَطيم (في وصف إعراض المرأة): طويل

تَبدَّت لنا كالشَّمس تحت غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضنّت بحاجبِ

أخذه بعضُ المُحدثين فقال: طويل

فشبَّهتُها بدرًا بدا منه شِقُّهُ وقد سَترتْ خدا فأبدت لنا خَدا

وأَذْرَتْ على الخَدّين دمعًا كأنه تنَاثُرُ درّ أو نَدىً واقَعَ الوَرْدا

وأخذه آخر(أبو نواس في وصف نحول العليل) فقال: السريع

يا قمرا للنِّصف من شَهره أبْدَى ضِياءً لثمانٍ بَقينْ

وأخذه بشّار فقال: السريع

ضنَّتْ بخدّ وجَلَتْ عن خَد ثم انثنتْ كالنفَس المُرْتدِّ

ويعلّق ابن عبد ربه على هذه الأمثلة بقوله :" فلم يُفسد الآخر قولَ الأول، ولم يكن الأولُ أولى بالمعنى من الآخر". ويعقب بقوله :"وقد قلنا في هذا المعنى ما هو أحسن من كلّ ما تقدم أو مثله، وهو قولي(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/ 298):

كأنّ التي يوم الوَداع تعرّضتْ هلالٌ بدا مَحْقا على أنه تم

ومثل هذه الطريقة في المعارضة أفاد منها ابن شهيد خاصة في رسالة التوابع والزوابع.

على كلّ حال ليس العقد الفريد بضاعة مشرقية خالصة، وابن عبد ربه إذ يسوق أشعاره يريد أن يبرهن على أن لأهل الأندلس حظا من الأدب ونصيبا من القول.

ونزعته الأندلسية، ومحاولته إظهار قدرته الفنية على المشارقة، صرح بها في شعره الذي يفخر به على شعراء المشرق من مثل قوله(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 454/5):

هُنا تفنى قَوافي الشّعـ ـر في هذا الروي

قوافٍ أُلبست حَلْيا من الحُسن البدى

تعالتْ عن جَربر بل زُهير بل عَدِيّ

هذه النزعة انتقلت عدواها إلى من جاء بعده، وعهدناها لدى ابن حزم وابن بسام والشقنديّ وغيرهم.

ولا بدّ –هنا- من الإشارة إلى المقطوعات العروضيّة التي أنشأها ابن عبد ربّه، التي أشرنا إليها في محور عروض الشعر العربيّ، بأنها معارضات، كما يصفها إحسان عبّاس؛ لأنّ ابن عبد ربه يجعل البيت المضمّن هو أساس المقطوعة التي من صنعه، وطريقة ابن عبد ربه في المعارضة التزام المعاني الأصلية ومحاولة عكسها أو الزيادة فيها(ينظر: عباس، 2001م، ص181- 183).

سابعًا: شرح الشعر الجاهليّ

يُبدي ابن عبد ربه اهتمامه بالشعر الجاهليّ شرحًا، وإعجابًا، ودفاعًا، ونقدًا. فكان ابن عبد ربه عمومًا معجبًا بالشعر الجاهليّ؛ فشرح بعض ألفاظه وفسّر بعض ما غمض من معانيه ودافع عن بعض ما عيب فيه، مفيدًا من ثقافته الدينية والتاريخية والأدبية واللغوية والنحوية والعروضية. فيدلي بدلوه أحيانا في شرح ما وجده بحاجة إلى شرح من لفظ أو معنى، فيشرح مثلا مفردات للخيل وأسماء الطير(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 1/234-239). ويفسر مثلا قول عنترة:" وابنُ النَّعامة عند ذلك مَرْكبي" بقوله:"أراد بابن النعامة: باطنَ القَدم"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 394/3).

ويفسر-أحيانا- الشعر بالشعر، كما في المثال التالي: "قال النابغة الذبياني يصف الحرب:

تبدو كواكبه والشمس طالعةُ لا النور نور ولا الإظلام إظلامُ

يريد بقوله: "تبدو كواكبه والشمس طالعة ": شدة الهول والكرب، كما تقول العامة: أريته النجوم وسط النها. قال الفرزدق: "أريك نجومَ الليل والشمس حيةُ"، وقال طرفة بن العبد:"وتريهِ النجمَ يجري بالظُّهُر"، وإليه ذهب جرير في قوله:

والشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

يقول: الشمس طالعة وليست بكاسفة نجوم الليل، لشدة الغم والكرب الذي فيه الناس"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 163/1-164). ويورد ابن عبد ربه –أيضا-مثل طرفة هذا في باب الأمثال في "الأمر الشديد المعضل- منه قولهم: أَظْلم عليه يومُه. وأين يَضَع المَخنوقُ يدَه؟ ومنه "قولهم": لو كان ذا حيلة لتَحوَّل. ومنه قولُهم: رأى الكوكب ظُهْرًا. قال طَرَفة: وتُرِيه النجمَ يَجْرِي بالظُّهرُ"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 113/3).

ويخطّئ أحيانا الأوائل في شروحهم، وتفسيراتهم، ومن ثمّ يوجّه هذه التفسيرات ويسهب في إقامة الحجّة على ما توصل إليه من القرآن والسنة والشع، والمثال التالي يوضح ذلك: جاء في باب الأمثال: "الجبان وما يذم من أخلاقه- منه قولهم: إنّ الجبانَ حَتْفه من فَوْقه. وهو من قول عمرو ابن أمامة (وهو جاهليّ أيام حذام):

لقد وَجدتُ الموتَ قبلَ ذَوْقه إنّ الجَبان حَتْفه من فَوْقه

قال أبو عُبيد بن سلام: "أحسبه أراد أن حَذَره وتَوقيه ليس بدافع عنه المَنيّة". "وهذا غَلط من أبي عُبيد عندي، والمَعنى فيه أنه وَصف نفسَه بالجُبن، وأنه وَجد الموت قبل أن يَذُوقه، وهذا من الْجُبن، ثم قال: إنّ الجبان حتفُه من فوقه، يريد أنه نظر إلى منيّته كأنما تحوم على رأسه، كما قال الله تبارك وتعالى في المنافقين "إذ وصفهم بالجبن :" يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ" (سورة المنافقون: 4). وكما قال جرير للأخطل يُعيّره " إيقاعِ قَيْس بهم":

حَملتْ عليك رجالُ قَيْسٍ خَيْلَهَا شعْثاً عوابسَ تَحْمِلُ الأبطالا

مازِلْتَ تَحْسِب كل شيء بعدَهم خيلاً تكـــر عليكمُ ورجالا

ولو كان الأمر كما ذهب إليه أبو عُبيد ما كان معناه يَدخل في هذا الباب، لأنه باب الجبان

وما يُذَم من أخلاقه، وليس أخذ الحَذَر من الجبن في شيء، لأن أخْذ الحَذَر محمود، وقد أمر

الله تعالى به فقال: "خُذُوا حِذْرَكُمْ"(سورة النساء: 71)، والجبن مَذْموم من كل وجه. ومنه الشعر تمثل به سعد بن مُعاذ يوم الخنْدق:

لَبِّث قليلا يُدْرِك الهيْجا حَمَل ما أحسنَ الموتَ إذا حان الأَجَلْ"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 122/3- 123).

ويفيد ابن عبد ربه من أخبار الجاهليين في تصويب المعاني وشرحها لشعراء أمويين، فدافع عن قول الفرزدق:

" أيابنةَ عبد الله وابنةَ مالك ويا بِنت ذي البُردين والفَرس الوَرْدِ

فقال مَن جهل المَعنى ولم يعرف الخبر: ما في هذا من المدح أن يمدح رجل بلباس بُردين،

وركوب فرس ورْد. وإنما معناه: ما قال أبو عُبيدة: إن وفود العرب اجتمعت عند النعمان، فأخرج إليهم برُدي مُحرّق(وهو عمرو بن هند). وقال لهم: ليقُم أعزّ العرب قَبيلةً فَليلْبِسْهما. فقام عامر بن أُحيمر بن بَهدلة، فائترز بأحدهما وتَردّى بالآخر. فقال له النُّعمان: بم أنت أعزُ العرب قبيلةً؟ قال: العِزّ والعدد من العرب في مَعدّ، ثم في نِزار، ثم في مُضَر، ثم في خِنْدف، ثم في تَميم ، ثم في سَعد، ثم في كعب، ثم في عوف، ثم في بَهدلة، فمن أنكر هذا من العرب فَلْينافرني ،فسكت الناس. فقال النعمان: هذه عَشيرتك فكيف أنت كما تَزعم، في نَفسك وأهل بَيتك؟ فقال: أنا أبو عشرة وعَم عشرة وخال عشرة، وأمّا أنا في نفسي فهذا شاهدي. ثم وَضع قَدمَه في الأرض، وقال: مَن أزالها فله مائة من الإبل. فلم يقم إليه احد. فذهب بالبُردين. فسُمِّي: ذا البُردين، وفيه يقول الفرزدق:

فما تمّ فــي سَعد ولا آل مالك غُلامٌ ، إذا ما قِيل لم يَتهدل

لهمْ وهَبَ النعمانُ بُردَي مُحَرّق بمَجْد مَعَدّ والعديدِ المُحصّل".(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/ 290)

ثامنًا: نقد الشّعر الجاهليّ

أ- الإعجاب بالشعر الجاهليّ:

ولا يخفي ابن عبد ربه إعجابه بالشعر الجاهليّ وببعض أخلاقهم ؛ فينقل –مثلا-ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه أنشد بيت طرفة:

ستُبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويَأتيك بالأخبار مَن لم تزوّدِ

فقال عليه السلام: "هذا من كلام النُّبوة "(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 235/5). وينقل في العقد رواية عن أحد الصحابة أنه دخل على النبيّ صلى الله عليه وسلم ومُنشد يُنشده قول سُويد بن عامر المصطلقي: (بحر البسيط)

"لا تأمَنَنْ وإن أمسيتَ فــي حَرَمٍ إنَّ المَنايــا بجَنْبي كُل إنْسانِ

فاسلُك طريقَك تَمْشي غير مُخْتَشع حتى تلاقِي الذي مَنَّى لك الماني

فكل ذي صاحب يومًا مُفارقــهُ وكُلّ زادٍ وإنّ أبقيتـــــه فاني

والخيرُ والشرُّ مَقْرونان فــي قَرَن بكُل ذلك يأتيك الجَدِيـــدان

فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: لو أدرك هذا الإسلام لأسلم"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 239/5).

وإن كثرة التمثل بأخبار الجاهليين وأشعارهم جعله يعتز ببعض أخلاقهم الحميدة، من مثل

قوله في فرش كتاب الدرة الثانية في أيام العرب ووقائعهم :"ونحن قائلون بعَون الله وتَوفيقه في أيام العرب ووقائعهم فإنها مآثر الجاهليَّة، ومكارمُ الأخلاق السنيّة. قيل لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كنتم تتحدّثون به إذا خلوتم في مجالسكم؟ قال: كُنّا نتناشد الشعر، ونتحدّث بأخبار جاهليّتنا. وقال بعضُهم: وددتُ أنّ لنا مع إسلامنا كرمَ أخلاق آبائنا في الجاهليَّة، ألا ترى أنّ عَنترة الفوارس جاهليّ لا دينَ له، والحسنَ بن هانئ إسلاميّ له دين، فمنع عنترةَ كرمُه ما لم يَمنع الحسنَ بن هانئ دينُه؟ فقال عنترة في ذلك:

وأغُضّ طَرْفي إن بَدت ليَ جارتي حـــتى يُوارِي جارتي مَأواها

وقال الحسنُ بن هانئ مع إسلامه:

كان الشبابُ مطيَّةَ الجَهل ومُحسِّنَ الضَّحِكات والهَزْل

والباعِثي والناسُ قد رَقدوا حتى أتيتُ حليلةَ البَعْل"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد ، 122/5)

ويبدي ابن عبد ربه أحيانا إعجابه الفني للشعر الجاهلي حتى في قضية نقدية مثل الصدق في الشعر، وبعد أن يستعرض أقوال كثير من القدامى في أي بيت تقوله العرب أشعر، يقول:" وأحسن من هذا كله قول زُهير:

وإنّ أحسنَ بيتٍ أنت قائلُه بيت يُقال إذا أَنشدتَه صَدَقا"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/ 287)

وممن استعرض ابن عبد ربه أقوالهم: أبو عمرو بن العلاء الذي قال عندما سئل أيّ بيت تقوله العرب أشعر؟ قال: البيت الذي إذا سمعه سامعُه سَوّلت له نفسه أن يقول مثله، ولأن يخدَش أنفه بظفر كلْبٍ أهونَ عليه من أن يقول مثلَه.والأصمعيّ قال: الذي يُسابق لفظه معناه. والخليل قال: البَيت الذي يكون في أوله دليل على قافيته. وغيره قال: البيتُ الذي لا يَحْجبه عن القلب شيء"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/ 287). ومن عبارات ابن عبد ربّه في الإعجاب-مثلًا- قوله: "ولله دَرّ الأعشى حيث قال: ..."(ابن عبد ربه، 1999م، العقد 349/5).

ومع ذلك فربما أعجب بسحر الشعر وإن قلب الحق باطلا وقبح الحسن وحسن القبيح، فجاء تحت عنوان: "تقبيح الحسن وتحسين القبيح" أنه "سُئل بعض علماء الشعر: من أشعر الناس؟ قال الذي يُصوِّر الباطل في صورة الحق، والحقَّ في صورة الباطل، بلُطف معناه، ورقّة فِطْنته، فيُقَبّح الحسنَ الذي لا أحسن منه، ويُحسن القبيح الذي لا أقبح منه. فمن تحسين القبيح قولُ الحارث بن هشام يعتذر من فراره يوم بَدْر:

الله أعلم ما تركتُ قِتالَهـم حتى رَموا مُهري بأشقَرَ مُزْبِدِ

وعلمتُ أنّي إن أقاتل واحداً أقتل ولا يَضُر عدوّي مَشهدي

فصرفتُ عنهم والأحبةُ فيهمُ طمعا لهـم بعقاب يوم مُفْسِدِ

وقال المُتلمّس في تَقبيح الحسن:

وحَبْس المال خيرٌ من بُغاه وضَرْبٌ في البلاد بغَيْر زادِ

وإصلاحُ القليل يزيدُ فيـه ولا يَبقَى الكثير مع الفَساد"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، ص294/5-).

ب- الدّفاع عن الشعر الجاهليّ

يدافع ابن عبد ربه عما عيب فيه بعض الشعراء الجاهليين ، فمما "عابوه، وليس بعَيب، قولُ زُهير:

قِفْ بالديار التي لم يَعْفُها القِدَم بلَى وغيَّرها الأرياح والدِّيمُ

فنَفى ثم حقّق في معنى واحد. فنَقض في عجز هذا البيت ما قال في صدره، لأنه زعم أنَّ الديار لم يَعْفُها القِدَم. ثم إن انتبه من مَرْقده، فقال: بلى عفاها وغيرها أيضاً الأرياح والدِّيم. وليس هذا معناه الذي ذهب إليه، وإنما معناه: أنَّ الديار لم تَعْفُ في عَيْنه، من طريق محبّته لها وشغفه بمن كان فيها.وقال غيرُه في هذا المعنى ما هو أبين من هذا، وهو قولُه:الباهلي(-75ه):

ألا ليتَ المنازل قد بَلينا فلا يَرْمِين عن شَزْر حَزِينَا

فقوله ألا ليت المنازل قد بلينا أي بَلِي ذِكْرُها، ولكنَها تتجدّد على طُول البلى بتجدّد ذكرها. وقال الحسن بن هانئ في هذا المعنى، فلخّصه وأوضحه، وشنَّفه وقرّطه، حيث يقول:

لمن دِمَنٌ تــزداد طِيبَ نَسيم على طُول ما أقوت وحسْنَ رُسوم

تجافَى البِلَى عنهنّ حتى كأنما لَبسْنَ على الإقواء ثوبَ نَعيم"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 291/5- 292)

ومما يُعاب من الشعر وليس بعَيْب "قولُ الأعشى في فرس النُّعمان، وكان يُسمَى اليحموم:

ويأمر لليَحموم كُلّ عشيَّة بِقَتٍّ وتَعْليق فقد كاد يَسْنَقُ

فقالوا ما هذا مما يُمدح به أحد من السُّوقة فضلاً عن الملوك؛ إنه يقوم بفرس ويأمر له بالعلف حتى كادَ يسنق ؛ وليس هذا معناه، وإنما المعنى فيه ما قال أبو عُبيدة: إن ملوك العرب بلغ من حَزمها ونَظرها في العواقب أنّ أحدهم لا يبيت إلا وفرسُه مَوقوف

بسَرجه، ولجامه بين يديه، قريباً منه، مخافة عدو يفجؤه، أو حال تنقلب عليه: فكان للنعمان فرس يقال له اليَحموم، يتعاهده كُلّ عشية ؛ وهذا مما يتمادح به العرب من القيام بالخيل وارتباطها بأَفنية البيوت"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/290-291).

ج- الإقرار بعيوب الشعر الجاهليّ:

ومع هذا الدّفاع عن الشعر الجاهليّ إلا أنّ ابن عبد ربّه يقرّ- في بعض المواضع- ببعض عيوب بعض الشعراء الجاهليين، وينتقدهم فيها. وذكر ابن عبد ربه ما أدرك على الشعراء وعيبوا في أشعارهم من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والأمويين والعباسيين ولم يدافع عن عيوبهم(ينظر: ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5-315-331). واللافت للنظر أن الشعر الجاهليّ كان حاضرًا شاهدًا على عيوب المحدثين(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/324-325، 331). وذكر من عيوب المحدثين وهي كثيرة جدًّا بالمقارنة مع الشعر الجاهلي: فذكر من عيوب امرئ القيس في موضعين، وزهير بن أبي سُلْمى في موضع فحسب، والنابغة في خمسة مواضع، والمتلمس الضُّبَعيّ في موضعين، وطرفة بن العبد في موضع فحسب، وعديّ بن زيد العِبَاديّ في موضعين، والأعشى في موضع فحسب، ولبيد في موضع فحسب(ينظر هذه العيوب: ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/315-319)، وذلك في الألفاظ والمعاني والتشبيهات والأساليب، فمما أدرك على المُتلمّس قوله: طويل

"وقد أتناسى الهَمّ عند احتضاره بناجٍ عليه الصيعريّة مُكْدَم

والصيعرية: سِمة للنوق، فجعلها صفة للفَحْل. وسمعه طرفة وهو صبّي يُنشد هذا البيت، فقال: استنوق الجمل. فضحك الناس، وصارت مثلاً"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/317). ومما أدرك على عديّ بن زَيد "قولُه في صفة الفَرس:

فَضافَ يُعرِي جُلَّة عن سَراته يَبُدّ الجيادَ فارهاً مُتتابعَا

ولا يقال للفرس: فاره، وإنما يقال له: جواد وَعَتيق. ويقال للكَوْدن والبَغْل والحمار: فاره"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/318).

ومما أدرك عليه "وصفهُ الخمر بالخُضرة، ولا نعلم أحدًا وصفها بذلك، فقال:

المُشْرِفُ الهنديّ يُسْقَى به أخضَر مَطْموثاً بماء الخَريصْ"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/318).

ومما أدرك على أعشى بَكر قولُه:

"وقد غَدوتُ إلى الحانوت يَتْبعني شاوٍ مِشَلّ شَلول شُلشُل شَوِلُ

وهذه الألفاظ الأربعة في معنى واحد"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/319). ومما أدرك علِى لَبيد قوله: رمل

"ومُقــامٍ ضيّقٍ فرَّجْتُه بمُقامــي ولساني وجَدَلْ

لو يقوم الفِيل أو فيّالُه زلّ عن مِثل مُقامي ورَحَلْ

فظن أن الفَيال أقوى الناس، كما أن الفِيل أقوى البهائم"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/319).

ومما أدرك على عمرو بن أحمر الباهليّ(مخضرم) قولُه يصف المرأة:

"لم تدر ما نَسْجُ اليَرندج قبلَها وَدِراسُ أعوصَ دَارِس مُتجَدّدِ

اليَرَندج: جلود سُود. فَظنّ أنه شيء يُنْسج. ودِراسِ أعوص، يريد أنها لم تُدارس الناس عَويص الكلام الذي يخفى أحياناً ويَتبين أحيانًا".وقد أتى ابنُ أحمر في شعره بأربعة ألفاظ لم تُعرف في كلام العرب، منها: أنه سمّى النار ماموسةً، ولا يُعرف ذلك فقال: "كما تطايح عن مامُوسة الشَّرَرُ".وسَمَّى حُوار الناقة بابوسًا، ولا يُعرف ذلك، فقال:

حَنّتْ قَلُوصي إلى بابُوسِها جَزعًا فما حَنِينُكِ أمْ مَا أنتِ والذّكَر"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/319 -320).

وفي بيت آخر يذكر فيه البَقرة:"وبَنَّسَ عنها فرْقَد خَصِرُ"أي تأخّر، ولا يُعرف التَبنّس. وقال:

"وتقَنَع الحرباء أرْنَتَه" ، يريد ما لُفّ على الرأس. ولا تعرف الأرنة إلا في شعره"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/320).

وينتقد بُعد اللفظ من المعنى في قول الشنفرى:

"فلا تدفنوني إن دفني محـــرّم عليكم ولكن خامري أمَّ عامرِ

إذا حُملتْ رأسي وفي الرأس أكثري وغُودر عند الملتقى ثم سائري

هنالك لا أبغي حياة تسرّنـــي سجيسَ الليالي مُبْسَلاً بالجرائر

قوله: خامري أم عامر، هي الضبع. يعني بقوله: إذا قتلتموني فلا تدفنوني ، ولكن ألقوني إلى التي يقال لها: خامري أم عامر، وهي الضبع ؛ وهذا اللفظ بعيد من المعنى"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 1/171).

ومن منطلق الأساس الخلقي في النقد يعيب على المتلمس الضبعي قولُه: (بحر الطويل)

"أحارثُ إنا لو تُساط دماؤنا تَزايلْنَ حتى لا يَمسّ دمٌ دمَا

وهذا من الكَذب المُحال"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/318). وعاب المبالغة المفرطة في قول النابغة الذبياني في وصف السيف : (الطويل)

"يَقُدّ السَّلوقيَّ المُضاعَفَ نَسجُه وُيوقِد بالصُّفّاح نارَ الحُباحبِ

فزعم أنه يَقُد الدّرع المضاعفة والفارسَ والفرس، ثم يقع في الأرض فيقدح النار من الحجارة،

وهذا من الإفراط القَبيح"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 317/5، وينظر: 1/ 249). وممّا أخذ على النابغة قولُه:

"خَطاطيفُ حُجْنٌ في حِبَال مَتينةٍ تُمدُ بهـــا أيدٍ إليك نَوَازِعُ

فشَبه نفسه بالدَّلو، وشَبه النُّعمان بخَطاطيف حُجن، يريد خطاطيف مُعوجة تُمدّ بها الدلو"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 317/5). "وكان الأصمعيّ يُكثر التعجب من قوله:

وعَيرتْني بنو ذُبيان خَشْيتَه وهل علي بأن أخشاكَ من عارِ"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 317/5).

وقد يذكر ماعيب فيه شاعر جاهلي في معنى من المعاني، ثم يأتي بمثال من الشعر الجاهليّ يكون المعنى فيه أفصح وأحسن ولا عيب فيه، فقد عيب طَرفة في قوله:

أسْد غِيل فإذا ما شرَبوا وَهَبوا كلّ أمُون وطِمِرّ

فذكر أنهم يُعطون إذا سَكروا، ولم يَشترط لهم ذلك إذا صَحَوْا، كما قال عنترة: (الكامل)

وإذا شربتُ فإننـــي مستهلكٌ مالِي وعِرْضي وافر لم يُكَلم

وإذا صحوتُ فما أقصِّر عن نـدى وكما عَلمتِ شمائِلي وتكرُّمي"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 318/5).

ومما أدرك على النابغة قولُه يصف الثّور: (البسيط)

"تَحِيد عن أسْتَن سودٍ أسافلُه مثل الإماء الغوادِي تَحْمل الحُزَمَا

قال الأصمعيّ: إنما تُوصف الإماء في مثل هذا الموضع بالرَّواح لا بالغدو، لأنهن يجَئن بالحَطبِ إذا رُحن؟ قال الأخْنَس التّغلبيّ (من أشراف تغلب وشجعانها (- 70 ق.ه):

تَظلّ بها رُبْدُ النّعام كأنّها إماء يَرُحنَ بالعَشيّ حَواطبُ"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 316/5).

تاسعًا: الشعر الجاهليّ أساس التقويم

كان ابن عبد ربه يذكر ما وقع فيه بعض الشعراء من أخطاء ، وكان -أحيانا - يصحح هذه الأخطاء مستندًا إلى معاني الشعر الجاهليّ وقوافيه في هذا التصحيح والتقويم، وقد يتمثل ببعض أشعار المحدثين التي تحذو حذو الشعر الجاهليّ ؛ من أمثلة ذلك ما أخذ على أبي النجم العجليّ في الوُرود قولُه: (الرّجز)

جاءت تَسامى في الرَّعيل الأول والظِّلّ عن أَخفافها لم يَفْضُل

فوصف أنها وردت في الهاجرة. وإنما خَير الورود غَلساً(قبل طلوع الشمس)، والماء بارد... كقول لبَيد بن ربيعة العامريّ:"إنّ من وِرْدي لتغْلِيس النَّهل"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 324/5-325). وفي موضع آخر يروي ابن عبد ربه أنه "دخل كُثير عزة على سُكينة بنت الحُسين عليه السلام، فقالت له: يا بن أبي جُمعة، أخبرني عن قولك في عَزّة: طويل

وما رَوْضةُ، بالحَزْن طَيّبة الثَّرى يَمُجُّ النَدى جَثْجاثُها وعَرارُهــا

بأطيَبَ من أرْدَانِ عَزّةَ مَوْهِنــا وقد أوقدت بالمَنْدَل الرَّطب نارُها

ويحك! وهل على الأرض زنجية مُنْتنة الإبطين، تُوقد بالمَندل الرطب نارها إلا طاب ريحُها. ألا قلت كما قال عَمّك امرؤ القيس (ابن حجر):طويل

ألم تَرَيَاني كُلما جِئْتُ طارقاً وجدتُ بها طِيباً وإن لم تَطَيّبِ"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 331/5).

وممَّا عِيب في القافية من الشّعر وليس بعَيب، ما يُروى عن مَروان بن الحَكم أنه قال لخالد بن يزيدَ بن معاوية، وقد أستنشده من شعره، فأنشده:

فلو بقيتْ خلائفُ آل حَــرْب ولم يُلْبِسْهمُ الدَّهرُ المَنونَا

لأصبح ماءُ أهل الأرض عَذْبا وأصبح لحمُ دُنياهم سمينا

فقال له مروان: "منونا وسمينا، والله إنها لقافية ما اضطرك إليها إلا العَجْز" .فعلق ابن عبد ربه بقوله:" وهذا مما لا عَجز فيه ولا عابه أحد في قوافي الشعر، وما أرى العيب فيه إلا على مَن رآه عيباً؟ لأنَ الياء والواو يتعاقبان في أشعار العرب كُلها، قديمها وحديثها. وقال عبَيد بن الأبرصِ:

وكُــل ذي غيْبة يؤوب وغائبُ المَوت لا يؤوبُ

مَن يسألِ الناسَ يَحْرموه وسائلُ الله لا يَخِيــب

ومثلُه من المُحدثين:

أجارةَ بيتينا أبـــوك غَيُور وميسور ما يُرجى لديك عَسيرُ"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 292/5).

الضرورات:

وقد أتى ابن عبد ربّه على ذكر بعض أوجه من النحو والصرف في كتاب الشعر، لاحتياج الشاعر إليه في شعره، واتساعه فيه من مثل ما قالوه في تثنية الواحد، وجمع الاثنين والواحد وإفراد الجمع والاثنين وتذكير المؤنث وتأنيث المذكر(ينظر ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 345/5 -347) ، كقول قَيس بن الخَطيم في الدِّرع:

مُضاعفة يَغشى الأناملَ رَيْعُها كــأنّ قتيرَهْا عُيونُ الجَنادبِ

يريد: قَتيرها"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/ 345). ويستشهد بأشعار الجاهليين والإسلاميين والعباسيين على الضرورات الشعرية تحت عنوان"ما يجوز في الشعر مما لا يجوز في الكلام ، "حيث قال أبو حاتم: أبيح للشاعر ما لم يُبَح للمتكلم، من قَصرْ الممدود، ومَدّ المقصور، وتَحريك الساكن، وتَسكين المتحرك، وصَرْف ما لا يَنصرف، وحَذف الكلمة ما لم تَلتبس بأُخرى، كقولهم: فل من فلان، وحم من حمام"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 312/5-).

وفي مثل هذه الضرورات الشعريّة كانت عين ابن عبد ربّه محصورة صوب الضرورات التي وردت عن الشعراء الجاهليين وأجازوها. فعلى سبيل المثال في تحريك الساكن وتسكين المتحرك، قول لَبيد بن ربيعة:

تَرّاك أمكنةٍ إذا لم أَرْضَها أو يَرْتبطْ بعضَ النفوس حِمامُها

ومثله قولُ امرئ القيس: فاليوم أشربْ غيرَ مُسْتحقب إثماً من الله ولا واغل

وقال أمية بن أبي الصَّلت: تأبى فما تَطلعْ لهم في وقتها إلا مُعذَّبةً وإلا تُجْلدُ

ومن قولهم في تحريك الساكن:

اضْرِبَ عنك الهُمومَ طارقَها ضَرْبَك بالسَّوط قَوْنَس الفَرس(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 314/5).

إن مثل هذه الضرورات كوضع المفرد مكان الجمع ... وإجازتهم مد المقصور ، وجواز صرف ما لا ينصرف وترك صرف ما ينصرف ، يدل على معرفة تامة بلغة الشعر وطرائق التعبير فيه وعلى التسامح في النقد في بعض ما يرتكبه الشاعر من ضرائر ، ومع هذا التسامح فإن ابن عبد ربه ومن جاء بعده ممن تبنى منهجه –خاصة من شراح الشعر- لا يخرجون عن الخط العام في لغة الشعر من حيث أن ترك الضرورة أولى من ارتكابها ما دام في القول سعة. وكان ابن شرف يقول في مثل هذه الضرورات:" فكل ذلك يستعمل، إلا أن السالم من جميع ذلك أجمل وأفضل"(ابن شرف القيروانيّ، 1946م، وعليان، 1984م ، ص 152).

عاشرًا: تأصيل المعاني

إنّ ما يثير اهتمام ابن عبد ربه كثيرًا في عقده هو قضية الأخذ الأدبيّ ودوران المعاني عند الشعراء، فهو يؤصل لكثير منها ويحاول إرجاعها إلى مصدرها ومنبعها خاصة الشعر الجاهلي(ينظر من الأمثلة: ابن عبد ربه، 1999م، العقد: 294/1-295، 357، 24/3، 26، 285/5-، 351-، 370-، 5/6-، 83-). وتحدث ابن عبد ربه عن هذه القضية تحت عنوان الاستعارة، فيقول: "لم تزل الاستعارة قديمةً، تُستعمل في المَنظوم والمَنثور. وأحسن ما تكون أن يُستعار المنثور من المنظوم، والمَنظوم من المنثور؛ وهذه الاستعارة خفية لا يُؤبه بها؛ لأنّك قد نقلت الكلام من حال إلى حال"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 297/5)، ويشير إلى أن الآخر من الشعراء يأخذ من الأول ، ويجري على سننه ، يقول:" وأكثر ما يجتلبه الشعراء ويتصرف فيه البلغاء فإنما يجري فيه الآخر على سَنَن الأول"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 297/5)، ويصرح بمقالة تداولها النقاد أنه ما ترك الأوّل للآخر شيئا من المعاني بقولهم :" وقلَّ ما يأتي لهم معنى، لم يَسبق إليه أحد، إما في مَنظوم وإما في مَنثور؛ لأنّ الكلام بعضه من بعض، ولذلك قالوا في الأمثال: ما ترك الأول للآخر شيئًا. ألا ترى أنّ كعب بن زُهير، وهو في الرَّعيل الأول والصدر المتقدم، قد قال في شعره: **ما أرانا نقول إلا مُعارًا أو مُعادًا من قولنا مَكْرورا "**(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 297/5**)**.

وموقف ابن عبد ربه من هذه المقالة أنه يرفضها ويقول:" إن الآخِر إذا أخذ من الأول المعنى فزاد فيه ما يُحسنه ويَقرّبه ويوضحه، فهو أولى به من الأول، وذلك كقول الأعشى:

وكأْسٍ شربتُ على لذّة وأخرى تداويتُ منها بهَا

فأخذ هذا المعنى الحسن بن هانئ فحسّنه، وقَرّبه إذ قال:

دعْ عنكَ لَوْمي فإنّ اللومَ إغراءُ وَداوِني بالَّتي كانتْ هي الدَّاءُ

وقال القُطاميّ (-130ه): والناسُ مَن يَلْقَ خيراً قائلون له ما يَشْتَهي ولأُمّ المخطئ الهَبَلُ

أخذه من قول المُرقِّش: ومَن يَلق خيراً يَحمد الناسُ أمرَه ومن يَغْوِ لا يَعدَم على الغيّ لائِمَا"(ابن عبد ربه، 1999م، **العقد، 297/5- 298).**

وكان صاحب العقد كثيرًا ما ينوه إلى أسبقية الشعراء الجاهليين إلى المعاني المتداولة، ويذكر من أحسن ومن أساء ومن خالف المعنى، وقد يوضح سبب هذا الخلاف متمثلا بأشعار الجاهليين وغيرهم، فتحت عنوان"اختلاف الشعراء في المعنى الواحد ،يقول:"وقد

تختلف الشعراء في المعنى الواحد، وكل واحدٍ منهم مُحسن في مذهبه، جارٍ في توجيهه، وإن كان بعضُه أحسنَ من بعض.ألا ترى أن الشَماخ بن ضِرار يقول في ناقته:

إذا بلغتني وحملتِ رَحلي عَرابةَ فاشرَقي بدَم الوَتِين

وقال الحسن بن هانئ في ضِدّ هذا المعنى ما هو أحسن منه في محمد الأمَين:

فإذا المطيُّ بنا بلغْن محمداً فظُهورهن على الرجال حَرامُ

وقال أيضاُ:

أقول لناقتي إذ أبلغتْني لقد صبحتِ مني باليَمين

فلم أجعلك للغِربان نُحْلاً ولا قلتُ اشرَقي بدَم الوتين

فقد عاب بعضُ الرواة قولَ الشماخ واحتجوا في ذلك بقول النبيّ صلى الله عليه وسلم للأنصارية المأسورة التي نجت على ناقة النبيّ صلى الله عليه وسلم: إني نذرت يا رسول الله إن نجّا بي الله عليها أن أنحرها قال: بئسما جَزيتيها. ولا نذْر لأحد في مِلْك غيره"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/299-). "وقد قالت الشعراء فلم تزل تمدح حُسن الهيئة وطيب الرائحة وإسبال الثوب. قال الفرزدق:

بنو دارم قَومي ترى حُجزاتِهم عِتاقاً حواشيها رِقاقا نِعالهـــا

يَجُرون هُدَّابَ اليَماني كأَنهم سُيوفٌ جلاَ الأطباغُ عنها صِقالُها

وأول من سبق إلى هذا المعنى النابغة الذبياني في قوله:

رقاقُ النّعال طَيِّبٌ حُجزاتُهم يحيَّوْن بالريحان يوم السَّباسبِ(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/300).

وقال طَرَفة:

ثم راحوا عَبقُ المِسك بهم يُلْحِفُين الأرضَ هُدَّابَ الأزُرْ

وقال كُثير عَزّة في إسبال الذيول يمدح بعض بني أمية....وقال آخر...وخالفهم فيه صريع الغواني فقال:

لا يَعبِقُ الطِّيبُ خدّيه ومَفرِقَه ولا يُمَسِّح عينيه من الكُحُل

وقال دُريد بن الصِّمَّة يرثي أخاه عبد الله بن الصمة ويصفه بتَشمير الثوب:

كَمِيش الإزار خارجٌ نصف ساقه بَعيدُ ،عن السَّوْآت طَلاّعُ أنجُدِ(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/300- 301).

ويستشهد ابن عبد ربه لشعراء آخرين يتمدحون بإسبال الثوب، ويفسر ابن عبد ربه هذا التناقض بقوله :"وقد يُحمل معناهم في تشمير الثوب وسَحبه واختلافهم فيه على وجهين: أحدهما أن يَستحسن بعضُهم ما يَستقبح بعض. والوجه الثاني، وهو أشبه، أن يكون لتشمير الثوب موضع ولسحبه موضع، كما قال عمرو بن معد يكرب: (الطويل)

فيومًا تَرانا في الخزوز نجرّها ويوماً تَرانا في الحَديد عوابسَا

ويوماً تَرانا في الثَّريد نَدسُّه ويوماً ترانا نكسر الكَعك يابسا

وقال أعشى بكر لعمرو بن مَعد يكرب(صاحب الصمصامة): كامل

وإذا تجيء كتيبةٌ ملمومـــةٌ شهباء يجتنبُ الكُماة نزالَها

كنتَ المقدَم غيرَ لابسِ جُنّة ٍ بالسيف تَضربُ مُعْلَماً أبطالَها

وقال مُسلم بن الوليد في يزيدَ بن مَزيد خلافَ هذا كُله، وهو:

تراه في الأمن في دِرع مُضاعَفة لا يأمنُ الدهرَ أن يُدعى على عَجل

ولما أنشده يزيدَ بن مزيد، قال له: ألا قلت كما قال الأعشى؟ وأنشده البيتين . فقال: قولي أحسنُ من قوله، إنه وصفه بالخُرق، وأنا وصفتك بالحَزم"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/301- 302). "وقالوا في الخَيال فحيّوه بالسلام ورحّبوا به؛ فمن ذلك قولُ مروان ابن أبي حَفْصة:"طرقْتكَ زائرةً فحيِّ خيالَها".وقال آخر:"طَرق الخَيالُ فحيّهِ بسَلام ِ"وعلى هذا بُنيتْ أشعارهم، وخالفهم جَرير فطَرد الخيال، فقال: (الكامل)

طرقْتكَ صائدة القُلوب وليس ذا وقتُ الزيارة فارجعي بسلام

وأولُ من طَرد الخيال طرفة فقال: (الطويل)

فقُلْ لخَيال الحنظلية يَنقلبْ إليها فإنّي واصلٌ مَن وَصَلْ

وأعجبُ مِن هذا قولُ الرّاعي الذي هجا الخَيال فقال..."(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/305- 306). "وأول من شبه الخيل بالظبي، والسرحان والنعامة، وتبعه الشعراء وحذوا حذوه وعلى مثاله، امرؤ القيس بن حجر، فقال في الفرس:

لــه أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاءُ سرحان وتقريبُ تتفــل

كأنَّ على المتنين منه إذا انتحى مداكَ عروس أو صلايةَ حنظـل ِ

مِكرٍّ مفر مقبلٍ مدبر معًـــا كجلمود صخر حطَّه السيل من عل

دريرٍ كخذروف الوليد أمَـرَّه تتابعُ كفيه بخيطٍ مُوَصَّـــل
كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللبدُ عن حال متنه كمـــا زلَّت الصفواءُ بالمتنزّل

فأخذت الشعراء هذا التشبيه من امرئ القيس فجروا عليه، فقال طفيل الخيل:

إني وإن قلَّ مالي لا يفارقني مثلُ النعامة في أوصالها طولُ
تقريبَها المَرْطى والجَوْزُ معتدل كأنّـــه سُبَدٌ بالماء مغسول
أو ساهمُ الوجه لم تُقْطعْ أباجِلُه يُصان وهو ليوم الرَّوْع مبذول"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 1/232-233).

وقال عبد الملك بن مروان لأصحابه:" أي المناديل أفضل؟ فقال: بعضهم: مناديل مصر ، وقال بعضهم: مناديل اليمن التي كأنها أنوار الربيع. فقال: ما صنعتم شيئاً، أفضل المناديل مناديل عبدة ابن الطبيب حيث يقول:

لمَّا نزلنا ضربنا ظِلَّ أخبيـة وَفـــارَ بِاللَحمِ لِلقَومِ المَراجيلُ
وَرداً وَأَشقَرَ لَم يُنهِئهُ طابِخُهُ ما قارب النضجُ منها فهو مأكولُ
وقد وثبنا على عوج مُسَوَّمَةٍ أَعـــرافُهُنَّ لأَيدينا مَناديلُ"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 1/233).

وقد يشير صاحب العقد إلى حسن الأخذ أو قبحه، وقد يترك التعليق عليه، من مثل قول "ابن أخت تأبط شرًّا يرثي خالَه، وقتلَته هُذيل: (الرمل)

شامِسٌ في القُرِّ حتى إذا ما ذَكَتِ الشِعرى فبَرْدٌ وظِلُّ
ظاعِن بالحَزم حتى إذا مـا حلَّ حَلَّ الحَزمُ حيث يحلّ

أخذ معنى البيت الأول أعرابيّ فسهّل معناه وحسّن ديباجته، فقال: وافر

إذا نزل الشتاء فأنت شمسٌ وإن نزل المصيفُ فأنت ظِلُّ

وأَخذ معنى البيت الثاني الحسن بن هانئ فقال في الخَصيب: (الطويل)

فما جازه جود ولا حلّ دونه ولكنْ يصير الجُود حيثُ يصيرُ"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/ 305).

وقول زهير "في هرم بن سنان: (الطويل)

وأبيضَ فياض يـداه غمامة على معتفيه ما تُغِبُّ نوائلـهْ
تراه إذا ما جئتَـــه متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله
أخور ثقة لا تتلفُ الخمرُ مالَه ولكنه قد يتلف المالَ نائلـه

أخذ الحسن بن هانئ هذا المعنى فقال:

فتىً لا تغولُ الخمرُ شحمةَ ماله ولكنْ أيادٍ عُوَّد وبوادي"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 1/357).

وفي موضع ينتقد الفرزدق في أخذه معنى من معاني الحب ممن سبقه من الشعراء، فيعلق ابن عبد ربه بقوله منتقدا الفرزدق: " فلم تُوانه رقّة الطَّبع، فخرج إلى أَجفى القول وأَقْبحه"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/ 305). ويفضل أحيانا معنى جاهليًّا على معنى جاهليّ آخر(ينظر: ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 5/318). ويؤصل ابن عبد ربه بعض معاني الشعر من النثر ،ففي قول الحطيئة:

مَن يَفعَلِ الخَيرَ لا يَعدَم جَوازِيَهُ لا يَذهَبُ العُرفُ بَينَ اللَهِ وَالناسِ

يقول ابن عبد ربه :"وأخذه الحطيئة من بعض الكتب القديمة. يقول الله تعالى فيما أنزله على داود عليه السلام(في الزبور): من يفعل الخير يجدْه عندي، لا يذهب العرفُ بيني وبين عبدي"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 1/288-289. وينظر أمثلة: 1/295، 3/26). هذا الذي يؤيده ابن عبد ربه في موضوع الأخذ من أن المحسن من الشعراء الآخذين هو أولى بالمعنى من السابق، واستحسان إخفاء الأخذ ، وطريقة طرح هذه القضية في التطبيق سار عليه كثير من النقاد الأندلسيين كابن بسام في ذخيرته وابن شهيد وغيرهما(ينظر: ابن بسام، 1979م، 1/ 1/287).

وينقل ابن عبد ربه كثيرًا من الآراء النقدية الأدبية المحافظة: للشيباني والأصمعي وابن سلام وأبي عبيدة وغيرهم .فضلا عن آرائه التي تنم عن ثقافة أدبية ونقدية واسعة ، كما يتضح من قوله في نصيحة الكاتب " فتخَيَّر من الألفاظ أرجحَها لفظا، وأجزَلها معنى، وأشرفَها جوهرًا، وأكرِمَها حسبا، وأليقها في مكانها، وأشكلها في موضعها؛ فإن حاولت صَنعة رسالة فزِن اللَّفظة قبل أن تُخرجها بميزانِ التِّصريف إذا عَرضت، وعاير الكلمة بمعيارها إذا سنَحت، فإنه ربما مَرّ بك موضعٌ يكون مخرج الكلام إذا كتبتَ: أنا فاعل، أحسنَ من أن تكتب: أنا أفعل، وموضع آخر يكون فيه: استفعلت، أحلى من: فعلت. فأدِر الكلام على أماكنه، وقلِّبه على جميع وُجوهه، فأيّ لَفظة رأيتَها أخف في المكان الذي ندبتها إليه، وأنزعَ إلى المِوضع الذي راودتَّها عليه، فأوْقعها فيه، ولا تجعل اللَفظة قَلِقة في موضعها، نافرةً عن مكانها، فإنك متى فعلت هجّنت الموضع الذي حاولت تَحسينه، وأفسدتَ المكان الذي أردت إصلاحه؛ فإنَ وضع الألفاظ في غير أماكنها ، وقَصْدَك بها إلى غير مَصابها، وإنما هو كتَرْقيع الثوب الذي لم تتشابه رقاعه، ولم تتقارب أجزاؤه، فخرج من حَدّ الجدّة، وتغيّر حُسْنه" ،ويقول : " وكذلك كلما احلولى الكلامُ، وعذُب وراق، وسَهُلت مخارجه، كان أسهلَ وُلوجاً في الأسماع، وأشدَّ اتصالاً بالقلوب، وأخفّ على الأفواه، لا

سيما إذا كان المعنى البديعُ مترجَمًا بلفظ مُونق شريف، لم يَسِمْه التكلفُ بِمِيسمه، ولم يُفسده التعقيدُ باستغلاقه"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 350/5 -351، وينظر جبور،1979م، ص122). وهذه النصائح لا تبتعد كثيرًا عن نقاد الشعر المحافظين في التزام عمود الشعر العربي.

الحادي عشر: من تأثر ابن عبد ربّه بالشّعر الجاهليّ

يغرف ابن عبد ربّه من معين الشعر المشرقيّ وفي مقدمته الشعر الجاهليّ ، فهو شديد الحفاظ على التيار القديم من حيث الموضوعات المشرقية كالمديح والهجاء والرثاء والغزل والوصف والخمريّات، وغير ذلك من الموضوعات الجزئيّة، والألفاظ والمعاني والصور والأساليب والأوزان والقوافي. ويفيد من أخبار الجاهليّين وأساليبهم ويضمن شيئًا من شعرهم . وكان يجاري المحدثين أحيانا في الرقة والعذوبة لأنّه استوعب ثقافة عصره القديم والجديد(ينظر شلبي، 1982م،ص 403، 412، 444، وابن عبد ربه، 2000م، شعره، مقدمة المحقق جمران، ص 40).

فابن عبد ربه لديه تأثر واضح بالعصر الجاهلي: أعلامه و شعره وأخباره وأمثاله: ونورد بعض الأمثلة على تأثره فيما أورده من أمثال العرب وأخبارهم ، فقد جعل في عقده كتابًا خاصًّا في الأمثال(ابن عبد ربه، 1999م، العقد: "كتاب الجوهرة في الأمثال"، 68/3-)، جمع فيه كثيرًا من أمثال العرب ورتبها ونسقها حسب أقسامها الرئيسة، بدأها بأمثال الرسول صلى الله عليه وسلم ، يليها أمثال روتها العلماء، ثم أمثال أكثم بن صيفي، ثم أمثال العرب عامة، وهي كثيرة، يفيد منها كلّ ذي علم وأدب. قال ابن عبد ربه: "قدْ مَضى قولُنا في العِلْم والأدب وما يتولّد منهما، ويُنْسب إليهما من الحِكَم النادرة ، والفِطَن البارعة، ونحن قائلون بعَوْن الله وتوفيقه في "الأمثال التي هي وَشْيُ الكلام، وجوهر اللفظ، وحَلْي المعاني، والتي تخيَّرتْها العربُ، وقدَّمتها العجم، ونُطِق بها "في" كل زمان، وعلى كلّ لسان، فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يَسِرْ شيءٌ مَسِيرَها، ولا عَمَّ عُمومَها، حتى قيل: أسير من مثل. وقال الشاعر:

ما أنتَ إلا مَثَلٌ سائرُ يَعْرفه الجاهلُ والخابرُ"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 3/ 68).

"فأوّلُ ما نبدأ به أمثالُ رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم، ثم أمثالُ العلماء. ثم أمثالُ أكْثَم بن صَيْفِيّ وبُزُرْجِمهر الفارسيّ... ، ثم أمثال العرب التي رواها أبو عُبيد وما أشبهها من أمثال العامة، ثم الأمثالُ التي استعملها الشعراءُ في أشعارهم في الجاهلية والإسلام"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 68/3). وضمن ابن عبد ربه أمثالا شعرية جاهلية في شعره هو وبعض نثره. فقد ضمّن مثلا لأكثم بن صيفي: "إنك لا تجني من الشوك العنب " في مقطوعة عروضية على مشطور الرجز(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 407/5) ، وابن عبد ربه لا يذكر أن هذا المثل لأكثم صراحة وجعله من أمثال العرب عامة ومما رواه أبو عبيد. وهذا المثل يذكره ابن عبد ربه في كتاب الأمثال(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 120/3).

والمثل "لكل مَقام مَقال"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 78/3) ذكره ابن عبد ربه من أمثال أكثم بن صَيْفِيّ وبُزُرْجمِهْر الفارسي، يضمنه الحطيئة في شعره، مع التحوير فيقول:

ولا تُعْجلنّي هَداكَ المَلَيكُ فإنَّ لكُلِّ مَقامٍ مَقالا(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 417/5).

وهذا البيت من مضمّنات ابن عبد ربه في إحدى مقطعاته.

ومن الأمثال الشعرية التي ذكرها ابن عبد ربه في كتاب الأمثال، وضمن هذه الأمثال الشعريّة في مقطوعاته العروضيّة المثل "الشر أهونُ من بعض" ، وهو جزء من بيت لطرفة بن العبد:

أبا منذر أفنيتَ فاستبقِ بعضَنا حنانيك بعضُ الشرّ أهونُ من بعض

ضمنه ابن عبد ربه في مقطوعة عروضية له(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 392/5).

ويأخذ ابن عبد ربه المثل نفسه في نثره ، حين قال في عقده :"ومما عابه ابنُ قتيبة وليس بعيب، قول المُرقّش الأصغر:

صحا قلبُه عنها على أنّ ذِكْرها إذا ذُكرَت دارتْ به الأرضُ قائمَا

فقال له: كيفَ يَصحو مَن كانت هذه صِفته؟ والمعنى صحيح، وإنما ذهب إلى أن حاله هذه، على ما تقدّم من سوء حاله، حال صَحْو عنده. ومثل هذا في الشعر كثير، لأن بعض الشّرّ أهون من بعض"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 293/5). وفي مقطوعته العروضية: "أنَا في اللّذات مَخلوع العِذارِ" : (الرمل) يختمها ببيت لعديّ:

"لو بغير الماء حَلقي شَرِقٌ"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 408/5، وابن عبد ربه، 2000م، شعره، ص 167-168). فالبيت الأخير لعدي قاله من قصيدة وهو في السجن يستعطف النعمان ، أورده ابن عبد ربه في العقد في موضعين في كتاب اللؤلؤة في السلطان " قولهم في الملك وجلسائه ووزرائه "والموضع الآخر في الأمثال فقال:"الرجل يؤتى من حيث أمن- قالوا: من مَأمنه يُؤْتَى الحَذِر. وقال عَدِيّ بن زيد العِباديّ:

لو بِغير الماء حَلقى شَرِقٌ كُنْتُ كالغصّانِ بالماء اعْتِصارِي

قال الأصمعيّ: هذا من أشرف أمثال العَرب. يقول: إنّ كلَّ من شرَق بشيء يستغيث بالماء، ومَن شرق" بالماء لا مُستغاث له"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 3/ 97). "وقال الآخر(أنشده أبو بكر الخراساني(-بعد320هـ):

كنتُ من كُرْبتي أَفِرُّ إليهم فهمُ كُرْبتي فأَينَ الفِرَارُ

ومثله قول العبّاس بنِ الأحنف:

قَلْبي إلى ما ضرَّني داعِي يُكثر أَحْزَاني وأَوْجاعي

كيف احتراسي من عَدوّي إذا كان عدوّي بَين أَضْلاعِي

وقال آخر:

مَن غَصَّ داوَى بُشرب الماء غُصته فكيف يَصنع مَن قد غَص بالماءِ"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 98/3).

ونجد ابن عبد ربه يفيد من الأمثال النثرية الجاهلية؛ ففي "من طلب الزيادة فانتقص- منه: كطالب القَرْن جُدِعت أُذُنه. وقولهم: كطالب الصَّيد في عريسة الأسد. وقولهم: سَقَط العَشاء بها على سِرْحان. يريد دابة خَرجت تطلب العَشاء فصادفت ذِئبا. ونظير هذا من قولنا:

طلبْتُ بك التكثير فازددتُ قِلَّةً وقد يَخْسر الإنسان في طلب الرِّبْح"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 118/3. ويراجع أمثلة في موضوع التضمين: حسن، 2007م، ص93-).

وقد كان للعقد أثر كبير في نشر الشعر الجاهليّ في الأندلس، من خلال ما أورده من شعر على قصص الجاهليين وأخبارهم ونوادرهم. حتى أضحت هذه القصص والأخبار والنوادر المنظومة محفوظة في ذاكرتهم، تمثلوها في شعرهم ونثرهم. فعلى سبيل المثال يورد المؤلف في كتاب الزبرجدة في الأجواد والأصفاد، أسماء الذين انتهى إليهم الجود في الجاهلية، وهم ثلاثة نفر: حاتم الطائيّ وهرم بن سنان المرّيّ وكعب بن مامة الإياديّ، فيورد أربع قصص لحاتم، ويتمثل بأبيات شعرية ومقطوعات طويلة من شعر حاتم(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 352/1-356). ثم يأتي على ذكر هرم بن سنان وما قاله زهير بن أبي سلمى في مدحه والثناء على قومه بني سنان، في مقطوعات ثلاث من ثلاثة أبيات وأربعة وسبعة(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 1/ 356-358)، وأما ابن مامة ثالث أجواد الجاهلية فليس له شعر، فيورد ابن عبد ربه شعرا لأبي تمام ينوه فيها بابن مامة وكرمه(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 358/1).

ثم يتحدث ابن عبد ربه عن أجواد أهل الإسلام، وهم كثر، حتى قسمهم صاحب العقد إلى طبقات(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 1/ 358-367). هذه الأسماء والقصص تمثلها الأدباء اللاحقون من المشارقة والأندلسيين في شعرهم ونثرهم. ولكن الملاحظ أن الأسماء التي يكثر دورانها في أدب الأندلسيين عند حديثهم عن الجود والكرم هي للجاهليين: حاتم وهرم وكعب؛ ولعلّ السبب في ذلك قلة الشعر الذي قيل في أجواد أهل الإسلام، وهؤلاء الأجواد ليسوا من الشعراء، أو لم يرو أنهم كانوا يقرضون الشعر.

وقد جعل ابن عبد ربه هؤلاء الأجواد مقياسًا للجود لمن أراد مدح أحد الأشخاص، وقد أشار إلى تفوق الخليفة عبد الرحمن الناصر في كرمه أجواد الجاهلية والإسلام، وذكر أسماء الأجواد هؤلاء في ثنايا مدحه للخليفة الناصر(ينظر: ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 4/ 471-، و ابن عبد ربه، 2000م ، شعره، ص334-، 336-). وأكد هذا الأمر في افتتاحيته لأرجوزته التاريخية(الأرجوزة في: ابن عبد ربه، 1999م العقد، 4/ 472-495 ،وابن عبد ربه، 2000م ، شعره ص 334- 376 ، وهي في 445 بيتا).

ومثل قوله في ثنايا هذه الأرجوزة:

أحْيا الذي مات من المَكارِم من عَهد كَعْب وزَمان حاتِم

وهذا القول في الأجواد يقال في كثير من الأبواب، كالتي تحدث فيها ابن عبد ربه عن الفرسان من أهل الجاهلية والإسلام.

وإذا كان الجاهليون قد أعلوا من قيمة الشجاعة والكرم في مدحهم فابن عبد ربه تحلّ هذه القيم المكانة الكبيرة في مدحه، يقول في أرجوزته:

أقولُ في أيام خير الناسِ ومنْ تحلّى بالندى والباسِ

ويفيد من أساليب الجاهليين في عدم ذكر الكرم مباشرة وإنما يذكر مظاهره وصوره. ويفيد من ألفاظ الحرب ومعانيها في وصف الممدوح بالشجاعة(ينظر من ذلك: ابن عبد ربه، 2000م ، شعره، ص336، 340، 346، 359، 361، 374 ، ويراجع هذا الموضوع : حسن، 2007م، ص 41-).

ويفيد –كذلك- من تشبيهات الشعراء الجاهليين واستعاراتهم في معاني الكرم والشجاعة وغيرها من قيم المروءة. وهذه التشبيهات وهذه الاستعارات وردت في أشعار الشعراء الجاهليين التي أوردها ابن عبد ربّه في عقده(ينظر مثلا: العقد، 357/1- وما بعدها). وثمّة وقفة عند بعض أشعار ابن عبد ربه ومقارنتها ببعض أشعار الجاهليين وتبيّن مدى تأثر ابن عبد ربه بألفاظ الجاهليين ومعانيهم وتشبيهاتهم وأساليبهم في التعبير وأوزانهم وقوافيهم(ينظر: حسن،2007م، ص 108-). وعلى كلّ حال فقد أفاد ابن عبد ربه من كثير من معاني الشعراء الجاهليين في كثير من الموضوعات، وقد يحسن الأخذ وقد يسيء، ففي باب فضل المال(وينظر الأشعار في هذا الباب: ابن عبد ربه، 1999م العقد، 33/3-36) يروي أشعارًا لشعراء جاهليّين من مثل: أحَيْحَة بن الجُلاَح وعُروة بن الوَرد، ولشعراء عبّاسيّين من مثل:

محمد بن حازم الباهلي(- 215هـ اختص بمدح المأمون العباسي) وأبي العتاهية إسماعيل بن القاسم أبو إسحاق(-211هـ) ومحمود الورَّاق العباسي(- 220هـ). وروى قصة أحَيْحَة بن الجُلاَح بالزَّوْراء حيث كانت له ثلثمائة ناضح، فَدَخَل بستانا له، فمرَّ بتَمْرة فَلَقطها فعُوتب في ذلك، فقال: تمْرَة إلى تَمرة تَمرات، وجَمل إلى جَمل ذَوْد. ثم أنشأ يقول: البسيط

إني مُقيم على الزَّوْراء أعمرُها إنّ الحبيب إلى الإخوان ذو المال
فلا يَغُرَّنك ذو قُرْبى وذو نَسب من ابن عمّ ومن عمٍ ومن خال
كلّ النداء إذا ناديتُ يَخْذُلني إلا نِدَائي إذا ناديتُ يا مالـــي

ويروي أشعارًا لعروة، من مثل قوله:

إذَا المَرْء لـــم يَطْلُب مَعاشاً لنَفْسه شكاَ الفَقْرَ أوْ لامَ الصَّدَيقَ فأكْثرا
وصار عَلَى الأدنين كَلاًّ وأوشَكـت صِلاتُ ذَوي القرْبَ له أن تَنَكَرا
فَسِرْ فـــي بِلاد الله والتَمس الغنَى تَعِشْ ذا يَسَارٍ أو تموتَ فَتُعْذَرا
فما طالبُ الحاجات مِنْ حيثُ تبتغى مـن المال إلا مَنْ أَجدَّ وشَمَّرا
ولا تَرْضَ مِنْ عَيْش بدُونٍ ولا تَنـم وكيف يَنام الليلَ من كان مُعْسرا

فيقول ابن عبد ربه "ومن قولنا في هذا المعنى:

دَعْني أَصُنْ حُرَّ وَجْهي عن إذالته وإن تَغرَّبتُ عن أهلي وعن وِلدي
قالوا نأيتَ عن الإخوان قلتُ لهم مالِي أخٌ غَير ما تطْوَى عليه يَدِي(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 35/3، وينظر: حسن، 2007م، ص59). فأفاد ابن عبد ربه من شعر عروة وشعر ابن الجلاح. كما لا يخفى-لمن يقرأ شعر الشعراء العباسيين الذين أنشد لهم ابن عبد ربّه في هذا المعنى في الباب نفسه- تأثر هؤلاء الشعراء العباسيين بالشعر الجاهليّ.

ومما أورده في وصف الموت ما أنشد به الشعراء، في كتاب الزمردة في المواعظ والزهد، فاستشهد في عقده لشعراء من مختلف العصور منذ العصر الجاهليّ وحتى عصره، وتأثر بمعاني الجاهليين خاصة(ينظر: ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 180/3 وعدي بن زيد العبادي 3/ 181 ، 184). فأحكم بيتٍ قالته العربُ في وَصْف الموت بيتُ أُمية بن أبي الصَّلت،حيث يقول:منسرح

يُوشِك مَنْ فَـــرّ مِـــنْ مِنيَّته فـــي بَعْض غِرّاته يُوَافِقُـهَا
مَنْ لم يمُتْ عَبْطَةً يَمُـت هَرَمـــًا للمـوت كأسٌ والمرء ذائقها(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 180/3). ويروى أنه كان بنَجْران عابد يَصِيح في كلّ يوم صَيحتين بهذه الأبيات: الكامل

قَطَعَ البقاء مَطالـعُ الشمسِ وغُدوًّها مـن حيث لا تُمْسي
وطلوعُها حمراءَ قانيـــةً وغُـروبُها صفراءَ كالوَرْس
اليومُ يُخبر ما يجيء بـــه ومَضى بفَضْل قَضَائه أمس(ابن عبد ربه، 1999م، العقد ، 3/ 180).

وقال عَدِيّ بن زَيْد: خفيف

أينَ أهلُ الدِّيارِ مِنْ قَوْم نُوح ثم عادٌ من بعدها وثَمودُ
بينما هُمْ على الأسرة والآذ ماطِ أَفضتْ إلى التُّراب الخُدود
وصحيحٌ أَمْسى يعُودُ مريضاً وهو أدنى للموت ممَّن يَعود
ثم لم ينقضِ الحديثُ ولكنْ بعد ذا كلِّه وذاك الوَعِيد(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 181/3)

ثم ينشد ابن عبد ربه من شعره قائلا:"ومن قولنا في ذكر الموت: البسيط

مَنْ لي إذا جُدْت بين الأهل والوَلَد وكـــان مِنّيَ نحـو المَوت قَيْد يَدِ
والدَّمْعُ يَهْمُـلُ والأنفاسُ صاعِدةٌ فالدَّمْعُ في صَبَب والنفس في صُعُد
ذاكَ القضاءُ الذي لا شيءَ يَصرِفه حتـــى يُفرِّقَ بينَ الرُّوح والجَسَد

ومن قولنا فيه: الوافر

أتْلهـــو بين باطِيَةٍ وزيرٍ وأنت من الهلاك على شَفِير
فيا مَن غَرّهُ أملٌ طَوِيـــلٌ يُـــؤَدِّيه إلى أجل قَصِير
أتَفْرَحُ والمَنِيّة كلَ يـــوم تريك مكان قبرك في القبور
هي الدّنيا فإنْ سَرتكَ يوماً فـإنَّ الحُزْنَ عاقبةً السُرُور
سَتسْلَبُ كلَّ ما جَمعْت منها كَعَـــارِيةٍ تَرَدُّ إلى المُعِير
وتَغْتَاضُ اليَقِين من التَّظَنِّي وَدَارَ الحق من دار الغَّرور"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 182/3-183)

وقال عدِيّ بن زيد العِبَاديّ: الخفيف

أين كِسْرَى كِسرَى المُلوك أنوشر وَانَ أَمْ أيْـن قبْلَه سابُـورُ
وبَنُو الأصفَر الكِرَام مُلُـوكُ الرُّ وم لـم يَبْق منهمُ مَذْكـوُر
وأخُو الحَضْر إذ بَنـاه وإذ دِجْـ لةُ تُجْبَـى إليـه والخَابُور
شادَهُ مَرْمَراً وجَلَّلَـــه كِلْـ ساً فللطيْر في ذَرَاه وُكُـورُ
لم يَهَبْهُ رَيْبُ المَنُونِ فَبَـانَ الـ مُلْكُ عَنْــه فَبَابهُ مَهْجور
وتَبينَّ رَبّ الخَوَرْنَــق إذ أشـ رف يومـــاً وللهُدَى تفْكِير
سَرَّهُ مالُهُ وكثْرةُ مـــا يمـ لـكُ والبحرُ مُعْرضاً والسَّدِير
فارْعوَى قلبُه وقال فمـا غِبـ طـة حَيّ إلى المَمَات يَصِير؟
ثم بعد الفَلاح والمُلك والنِّعـ مـــة وارتهُمُ هُنَاكَ القَّبُور
ثم صارُوا كأنهُـــم وَرَقٌ جَفَّ فألَوَت به الصَّبَا والدَّبور(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 3/184-185).

وقد يفيد ابن عبد ربه في معانيه من قول الأضبط بن قريع في القناعة:

ارْضَ من الدهر ما أتاك به مَنْ يَرْضَ يوماً بعَيشِهِ نَفَعَهْ
قد يَجْمع المال غيرُ آكله وَيأكلُ المالَ غيرُ مَنْ جَمَعه(ابن عبد ربه، 1999م، العقد 3/ 202).

فابن عبد ربه هنا أحسن في صياغته للمعنى وفي اختياره للألفاظ المناسبة للمعنى في قالب عروض البسيط في المقطوعة الأولى والوافر في الثانية. وفي تكرار الأصوات الطويلة تارة والهمسية تارة أخرى، واستخدام أساليب الاستفهام والشرط والنداء التي تقوي عاطفة الحزن والتحسر عند الحديث عن الموت والتفجع ورثاء الممالك الداثرة، ولربما تفوق على بعض الشعراء المشارقة من غير الجاهليين. في حينٍ يتساوى مع عديّ من حيث السلاسة وسهولة الألفاظ والأساليب. وربما قصّر عن بلوغ شأن من يحاول التفوق عليهم من شعراء المشرق في أساليبهم، خاصة في أمثالهم الشعرية التي استشهد ببعضها في عقده، فجاءت أشعاره متكلفة، والمقطوعات التالية تؤكد ذلك، يروي ابن عبد ربه قول الأصمعي:" لم أجد في شعر شاعر بيتا أوّله مَثلٌ وآخرُه مَثل إلا ثلاثة أبيات، منها بَيْتٌ للحطيئة:

مَن يفعل الخيرَ لا يَعْدَم جَوَازِيَه لا يذهبُ العُرْف بين الله والناس

وبيتان لأمرئ القيس:

وأفلتهـــنَّ عَلبَاءٌ جَريضا ولو أدْرَكْنَهُ صَفِرَ الوِطَابُ
وقاهم جَدُّهـــم ببني أبيهم وبالأَشْقَين ما كان العِقَابُ"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 3/127-128).

ويستدرك ابن عبد ربه على الأصمعيّ قائلا: "ومثلُ هذا كثير في القديم والحديث، ولا أدري كيف أغفل القديمَ منه الأصمعيُّ. فمنه قولُ طرفة:

ستُبْدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً وَيأتيكَ بالأخبار من لم تُزَوِّدِ

وفي هذا مثلان من أشرف الأمثال. ويقال إنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم سَمع هذا البيت فقال: إنَّ معناه من كلام النبوَة"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 3/128).

ويقول ابن عبد ربه في هذا الأسلوب-محتذيا حذو أساليبهم في الأمثال- :"ومن قولنا في بيتٍ أوله مثلٌ وآخره مثل:

وقد صَرَح الأعداء بالبَيْنْ وأشرَقَ الصُّبْحُ لذي العَيْن

وبعده أبيات في كل بيتٍ منها مَثلَ، وذلك:

وعادَ مَنْ أهوَاه بعـــد القِلاَ شَقيقَ رُوحٍ بين جِسْمَيْن
وأصبَحَ الدَّاخل فـي بَيْننا كساقِطٍ بـــين فِرَاشين
قـــد ألبِسَ البِغْضَة ذا وذا لا يَصْلُحُ الغِمْدُ لسَيْفَيْنْ
ما بالُ من ليست له حاجةٌ يكون أنفْاً بذهن عَينين

ومن قولنا الذي هو أمثالٌ سائرة:

قالوا شبابك قد ولّى فقلتُ لهـــم هل من جديدٍ على كرّ الجديديْنِ
صِلْ من هويته وإن أبدى معاتبة فأطيب العيش وصلٌ بـين إلفين
واقطع حبائل خل لا تلائمـــه فربّما ضاقت الدنيا على اثنينَ

وقلت بعد هذا في المدح:

فكّرْتُ فيك أَبَحْـــرٌ أنت أم قَمَرٌ فقد تَحَيَّر فِكْرِي بين هذَيْنِ
إنْ قلتُ بحراً وجدتُ البحرَ مُنْحَسراً وبحرَ جودك ممتَدَّ العُبَابيَنْ
أو قلتُ بدراً رأيتُ البـدرَ مُنْتَقصًا فقلت شتّان ما بين البُدَيْرَيْن(ابن عبد ربه، 1999م العقد، 3/128-129).

فيظهر تقصير ابن عبد ربه عن بلوغ شأن من حاول هو أن يتفوق عليهم من جاهليين وغيرهم فأمثاله الشعرية جاءت-بلا شك- دون مستوى أمثال الجاهليين، بل دون أمثال سواهم.

ومن مظاهر تأثر ابن عبد ربه في شعره بالشعر الجاهليّ احتذاؤه أساليب الشعراء الجاهليين البلاغية في التصوير كالتشبيه الدائريّ، فيورد ابن عبد ربه أشعارًا في الرياض لشعراء من مختلف العصور، وينشد شعرًا له في الموضوع نفسه، ولكنه يتّبع أسلوب الأعشى، ويحاكيه في استخدامه للتشبيه الدائريّ في بناء صورته الفنية، فينشد لأعشى بكر قوله في الرياض:

ما روضةٌ من رِياض الحَزْن مُعشِبة خَضْراءُ جاد عليها مُسْبِل هَطِلُ

يضاحك الشمسَ منها كوكب شَرِق مــؤزَّر بعمِيم النَّبتِ مُكتهل

يوماً بأطيبَ منها نَشرَ رائحـــةٍ ولا بأحسنَ منها إذ دَنَا الأُصُل(ابن عبد ربه، 1999م العقد،371/5).

ويقول ابن عبد ربه في هذا المعنى: "ومثلُه قولُنا: بحر الطويل

وما رَوضة بالحَزن حاك لها النَّدى بزُوداً مــن المَوشيّ حُمرَ الشَقائق

يُقيم الدُّجى أعناقَها وُيميلهـــا شعاعُ الضَحى المُستَنّ في كُلّ شارق

إذا ضاحَكَتْها الشمسُ تَبكي بأعين مُكلَلـــة الأَجْفان صُفْرِ الحَمالق

حكَت أرضُها لـونَ السماء وزانَها نُجومٌ كأمـــثال النُجوم الخَوافق

بأطيبَ نشرًا منْ خَلائقه التـــي لها خضعتْ في الحُسنِ زُهرُ الخَلائق"(ابن عبد ربه، 1999م، العقد، 376/5، وينظر المثال: حسن، 2007م، ص 89-).

فالمحاكاة واضحة في الألفاظ والتراكيب، وأسلوب صياغة الصورة عن طريق التشبيه الدائريّ. وانتشر هذا النوع من التشبيه- فيما بعد- في شعر ابن شهيد وابن زيدون وابن خفاجة، وغيرهم.

خاتمة

أثبتت هذه الدّراسة: أنّ ابن عبد ربّه في عقده وشعره يستقي من نبع الشعر الجاهليّ، الذي يعدّ أساسًا للشعر العربيّ على مرّ العصور، في مبانيه وأساليبه وأكثر معانيه. وأثبتت قيمة الشعر الجاهليّ لدى ابن عبد ربّه من خلال قيمة العقد نفسه، وتأثر ابن عبد ربّه في شعره هو بالشعر الجاهليّ، ومدى اهتمام ابن عبد ربّه بأخبار العرب في العصر الجاهليّ، والاستشهاد بالشعر الجاهليّ، ونقده: بالإعجاب به، وبأساليبه الفنيّة، والدّفاع عنه، وشرحه، والحديث عن عروضه ، وعدّ الشعر الجاهليّ أساس التقويم وأصل المعاني عمومًا. وبهذا الذي قدّمته هذه الدّراسة يكون هذا البحث قد أجاب عن السؤال الذي طرح في أوّله، ما إذا كانت للشعر الجاهليّ قيمة في ما أورده ابن عبد ربّه في عقده وشعره.

ويوصي الباحث بما يأتي:

1- الوقوف على طرق معارضة ابن عبد ربّه للشعر الجاهليّ.
2- ودراسة طرق ابن عبد ربّه في معارضته الشعر الجاهليّ في شعر ابن شهيد ورسائله.
3- ودراسة المقطوعات العروضيّة التي أنشأها ابن عبد ربّه في عروض الشعر العربيّ وتبيّن مدى تأثره فيها بالشعر الجاهليّ.
4- والوقوف على طرق ابن عبد ربّه في شرح الشعر العربيّ وتصويب معانيه بناء على أخبار الجاهليين وأشعارهم.
5- والوقوف على طريقة ابن بسام الشنتريني في نقده للشعر الجاهليّ.
6- ودراسة مقاييس ابن عبد ربّه في النقد للشعر الجاهليّ.
7- والوقوف على آرائه في الأخذ والتأثر بالسّابقين في الشعر والنثر.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- ابن الأكفاني(1990)، الحكيم المتطيب محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري(-749هـ=1348م)، **إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم:**(د.ط)، تحقيق وتعليق: عبد المنعم محمد عمر ومراجعة أحمد حلمي عبد الرّحمن، القاهرة، دار الفكر العربيّ.
- بالنثيا، آنخيل جنثالث(1955)، **تاريخ الفكر الأندلسي**، ط1، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
- ابن بسام الشنتريني(1979)، أبو الحسن علي، (ت542هـ)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**: ط1، 8 مجلدات، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، لبنان، دار الثقافة، 1399هـ.
- الثعالبيّ النيسابوريّ(1983)، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، (ت429هـ)، **يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر**: ط1، شرح وتحقيق: مفيد محمد قميحة، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، 1403هـ.

- جبور، جبرائيل(1979)، **ابن عبد ربه وعقده**: ط1، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة.
- **حسن، جمال علي(2007)، أثرُ الشِّعْرِ الجَاهِلِيِّ في الأدَبِ الأندلسيِّ مِنَ القرْنِ الرَّابعِ الهِجْريِّ إلى منتصفِ السَّادسِ**: رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنيّة، إشراف ناصر الدين الأسد.
- ابن خاقان(1983)، أبو نصر الفتح بن محمد القيسيّ، (ت529هـ). **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**: ط1، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1403هـ
- الداية، محمد رضوان(1981)، **الأدب الأندلسيّ والمغربيّ: أبحاث في الأدب الأندلسي والمغربي**: جامعة دمشق، دمشق.
- الداية محمد رضوان(2000)، **في الأدب الأندلسي**: ط1، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، دار الفكر المعاصر، 1421هـ
- ابن سعيد(1987)، أبو الحسن عليّ بن موسى بن سعيد الأندلسيّ(-685هـ)، **رايات المُبَرَّزين وغايات المُمَيَّزين**: ط1، تحقيق وتعليق: محمد رضوان الداية، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
- ابن شرف(1946)، القيروانيّ، (ت460هـ). **رسائل الانتقاد**، ضمن كتاب: **"رسائل البلغاء"**: ط3، اختيار وتصنيف: محمد كرد علي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1365هـ
- **شلبي، سعد إسماعيل(1982)**، الأصول الفنية للشعر الأندلسي-عصر الإمارة: **د.ط، الفجالة، مصر.**
- ضيف، شوقي(1983)، **تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات-الأندلس**، ط2، القاهرة، دار المعارف.
- عباس، إحسان(2001)، **تاريخ الأدب الأندلسيّ، عصر الطوائف والمرابطين**: الطبعة العربيّة الأولى، الإصدار الثاني، عمان، الأردنّ، دار الشروق للنشر والتوزيع.
- عبّاس، إحسان(2001)، **تاريخ الأدب الأندلسيّ، عصر سيادة قرطبة**: الطبعة العربية الأولى، الإصدار الثاني، عمان، الأردنّ: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- ابن عبد ربه الأندلسيّ(2000)، أحمد بن محمد، (ت328هـ)، **شعر ابن عبد ربه الأندلسي**: ط1، جمعه وحققه وقدم له: محمد أديب عبد الواحد جمران ،الرياض، مكتبة العبيكان، 1421هـ
- ابن عبد ربه الأندلسيّ(1999)، أحمد بن محمد، (ت328هـ)، **كتاب العقد الفريد**: ط1، 6ج، تحقيق وتعليق: بركات يوسف هبود، بيروت، لبنان، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 1420هـ
- عتيق، عبد العزيز(1976)، **الأدب العربي في الأندلس**: د.ط، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- عليان، مصطفى(1984)، **تيارات النقد الأدبيّ في الأندلس في القرن الخامس الهجريّ**: ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1404هـ
- العيس، مصطفى(2000)، **أثر المتنبي في أعلام الشعر الأندلسيّ**: رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة حلب، حلب، سورية، 1421هـ
- ابن الفرضيّ(1988)، أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزديّ، (ت403هـ)، **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**: ط2، في جزأين، عني بنشره وصححه ووقف على طبعه: السيد عزت العطار الحسيني، القاهرة، نشر مكتبة الخانجي، 1408هـ
- ابن كثير(2015) أبو الفداء الدمشقيّ، (-774هـ)، **البداية والنهاية:** ج11، تحقيق ياسين محمد السواس، دمشق-سوريا، بيروت-لبنان، دار ابن كثير للطباعة والنشر، إصدارات دائرة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، دولة قطر، 1436هـ
- ابن كثير(2015)، أبو الفداء الدمشقيّ، (-774هـ)، **البداية والنهاية**: ج12 ، ط1، تحقيق: إبراهيم الزيبق، إصدارات دائرة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، دولة قطر، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق-سوريا، بيروت-لبنان، 1436هـ
- محمد الأمين، محمد طه(1969)، " **الشعر الأندلسي بين التقليد والتجديد**"، جامعة البصرة ، س 3 ، ج 6.
- المقري(1968)، شهاب الدين أحمد بن محمد، (ت1041هـ)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، 8 مجلدات، بيروت، دار صادر، 1388هـ
- مكي، الطاهر، (1979). العقد الفريد لابن عبد ربه، **تاريخ العرب والعالم**، السنة الأولى، العدد الرابع، شباط.
- ملحس، ثريا عبد الفتاح(1988) .**دفاع في طريق المعلقة وطرفة بن العبد: قراءة جديدة**: ط1، بيروت، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبنانيّ.
- ياقوت الحموي(1993)، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ط1، (7ج)، تحقيق إحسان عباس، بيروت دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤ هـ .